

أهداف

أهدى هذا الكتاب إلى من يرى أن رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة ، والفوز بالجنية ، والنجاة من النار ، وموافقة الكتاب والسنة ، هي الغاية ، وكل ماعداها - من جهود أو محاولات ، وجماعات وقيادات ، ونظم وحكومات - وسائل تخضع للغاية ، وتستخدم لصالح الإسلام ، فيجب المرء لا يحبه إلا لله (١) ، وينتصر لحركة أو فكرة ، لا ينتصر لهما إلا حبا للإسلام .

أهدى هذا الكتاب إلى من يؤمن بأن النعمة الوهيدة التي ختمت بشخصية ، هي نعمة ((النبوة)) التي ختمت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما سائر النعم فباقية سائرة ، منها نعمة العلم ، ونعمة الفكر ، ونعمة التحقيق ، فلا يحتكرها إنسان ، ولا تختم بإنسان ((وما كان عطاء ربك محظورا)) .

أهدى هذا الكتاب إلى من يكون على استعداد دائم للانتقال من نافع إلى أنفع ، ومن صالح إلى أصلح : ولقبول الحق إذا اتضح ، والدليل إذا قام ((فإن الحق قديم)) كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في منشوره للقضاء - فالرجوع إليه لا غضاضة فيه ولا بدعة .

(١) لفظ ورد في حديث مرغوع متفق عليه

أهدى هذا الكتاب الى من يرى أن حق الملاحظة والنقد ، حق
مشاع ، لا يحرمه ذو علم وصاحب فكر ، وان عملية النقد وابداء
الملاحظات ، لا يطبق عليها قانون « اتجاه واحد » .

أهدى هذا الكتاب الى من لايسرع بالحكم على كتاب حتى
يستوعبه فهما وقراءة ، ولا يستقبل بحثا باسائة الظن بنية صاحبه ،
والشك في مراميه .

وصدق الله العظيم « فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا
الآلئاب (١) » .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل في الموضوع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد ، فإن الإسلام دين الله الأخير ، الذي يتكفل بهداية البشرية إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، وعليه تتوقف مجديتها وخلصها ، وصلاحها وفلاحها ، فلا بد — اذن — أن يبقى إلى يوم القيامة ، يوجهها في دينها ودنياها ، وينير لها الطريق عمياً يتصل بأولها وآخرها ، ومن ثم جاءت عقائده وحفائمه مقررة لا تتغير ، وشرائعه وأحكامه وقوانينه مستوفاة لا تتبدل

النسخ والتعديل ، ولم تكن شريعته وحدها منزلة من الله ، بل ان حضارته هي الاخرى تقوم على انحقاق الابدية الخالدة .
حقيقة لا تحتاج الى التقرير .

ولكن هناك حقيقة اخرى ، هي أن الحياة متحركة منطوية ، مستمرة النمو والتغير ، وذلك من محاسنها ، وليس من مساوئها ، وليس ذلك شذوذا عن الفطرة ، وانما هو اقتضاء الفطرة ، فهي تنتقل من طور الى طور ، ومن لون الى لون ، لأنها دائمة الشباب والنشاط .

فكل شيء في الحياة يتغير ، تتغير اللغات واللهجات ، وتتغير أساليب البيان والتعبير ، ومناهج البحث والتفكير ، وتتغير الأسباب التي تثير القلق النفسي والاضطراب الداخلي ، وتتغير الوسائل التي تقاوم هذا القلق والاضطراب ، وتتغير أوضاع التساؤلات التي تثور في النفوس البشرية ، كما تتغير أوضاع الإجابات عليها .

وتنحصر مسئولية أبناء الاسلام البررة المخلصين ، وانصاره وحماته من العلماء والمصلحين ، القائمين بعرضه والتعبير عنه ، في هذا الوضع المزيج الذي تشكله أيدي الدين وخطوده ، وتطور الحياة وتموها المستمر - في أن يقوموا (كل من عصره)

بعملية عرض الاسلام ومحاسنه وتعليماته بأسلوب يقوى ايمان
أبناء عصورهم — من جديد — بهذا الدين الخالد، وحقائقه الثابتة،
وعقائده الأبدية ، ويعيد الى نفوسهم الثقة بفضلها وحاجة البشرية
والمدينة اليها ، وهذا ما أشار اليه سيدنا على — كرم الله وجهه —
حينما قال : « كلموا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب
الله ورسوله » (١) وهذا ما صنعه متكلمو الاسلام ، والعلماء
الربانيون ، في عصورهم المختلفة ، فقد قاموا بهذه المسئولية
الدقيقة حسب الأوضاع والملابسات التي واجهتهم ، جزاهم الله
عن الاسلام خير الجزاء .

لكن هذا العمل دقيق وصعب بقدر ما هو واجب وضرورى ،
توجب على الذين يحاولون أن يقوموا بعملية عرض الاسلام
وتفهميه وتقريبه الى القلوب والأذهان ، أن يلازموا الحيطة
والدقة — على طول الطريق — في تحقيق غاياتهم واكمال مهمتهم،
حتى لا يتكون ، على غفلة منهم أو عن غير ارادة وقصد لهم ،
لدى الجيل الجديد — الذى يراد تعريفه بحقائق الاسلام ونرسخ
عقائده في قلبه أو يقصد استخدامه لاعلاء كلمة الله ، ورفع منار

(١) وساق البخارى في صحيحه قول على رضى الله عنه في
هذا المعنى بما يلى : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب
الله ورسوله ؟ » ويروى مثل ذلك عن عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه .

الإسلام — « ذوق ديني » مختلف عن « الذوق الديني » الذي كان يتسم به الجيل الإسلامي الأول ، بفضل تلقيه التربية في أحضان النبوة مياثرة ، ذلك الذي توارثته الأجيال المتلاحقة بعده ، وحتى لا ينحرف هذا الجيل في مناهج تفكيره عن الجادة التي رسمتها النبوة على صاحبها الصلاة والسلام ، كما حدث مرات في تاريخ الأديان القديمة والمذاهب والفرق الإسلامية الحديثة ، ان هذا الحدث لا يتكرر في تاريخ الأديان والمذاهب ، ولكنه اذا حدث مرة ، لم يكن تداركه وتلافيه ممكنا بأى حيلة من الحيل ، والتاريخ يشهد بذلك . ان هذا « الذوق الديني » انما ينبع من التأييد الإلهي ، والتوفيق الرباني ، والقوة القدسية ، التي يكرم بها الأنبياء والرسل ، وهو أقوى قوة ، وأعظم ثروة ، وأمضى سلاح ، وأعلى تراث ، لدى هذه الأمة ، انه سهل افساده ، ولكن لا يمكن اصلاحه الا بالتعاليم النبوية الصحيحة ، والتربية الدينية العريقة ، وصحبة الربانيين الذين يمثلون السيرة النبوية الأصيلة ولا تملك حكومة مهما كانت قوية وعظيمة — أو منظمة سياسية مهما كانت غنية وحكيمة — ان تتدارك هذا الانحراف عن « الذوق الإسلامي » الأصيل .

وظل هذا العمل الدقيق — عمل العرض الجديد للإسلام — يتم عبر التاريخ الإسلامي بطريقة حكيمة لم تحدث بين الجيل

المسلم المعاصر ، وبين العقائد والحقائق ، والقيم والمثل الإسلامية ، تلك الفجوة العميقة الواسعة التي وقعت - في تاريخ اليهودية والمسيحية - بين الشباب المثقف الدكي ، وتعاليم العهد العتيق ، والعهد الجديد ، مما أثار الشكوك والشبهات الكثيفة في قلبه تجاه تعاليم « الكتاب المقدس » وأدى به الى الثورة عليها ، وضربها عرض الحائط ، وخيم الاحاد واللا دينية على العالمين اليهودي والمسيحي ، وبالتالي منى العالم البشري كله بأن يجنى ثماره المرة ، ولا يزال .

لكن القائمين بعرض الاسلام وتقديمه في الأسلوب العصري استطاعوا أن يتفادوا من هذه الورطة ، ومن أن يحدث ضعف في صلة هذه الأمة الفكرية والعقلية بحقائق الاسلام الاولى ، وتصوراته الأساسية ، بل ازدادت ايماننا بها ، واذعانا لها ، واقبالا عليها ، وعلى ذلك فلم تمن هذه الأمة بما منى به الهنادك والفرس ، حيث ظلوا قرونا ، ولا يزالون ، يعضون على التقاليد والطقوس ، والاعراف الدينية والاجتماعية بنواجذهم ، بينما يئسوا من التطبيق بين الدين والعقيدة ، وبين العقل والعلم ، ومن جدارة دينهم لمسايرة الحياة البشرية المتطورة . والركب البشري المتقدم ، ورأوا بقاء دينهم في أن يكون على عزلة تامة من العلم والمعرفة ، وأن لا يرتفع عنه ذلك الركام الهائل من الجهل

المطبق والأوهام والأحلام الكثيفة ، الذى تراكم عليه ، وسد عليه منافذ الهواء والنور .

ومن ثم فهؤلاء المخلصون الذين قاموا بهذه المسئولية الجليظة ، مسئولية العرض الجليل للشريعة الاسلامية عبر العصور الاسلامية ، يستحقون كل تقدير واعتراف وشكر ودعاء ، منا ومن الأجيال المتلاحقة ، حيث تفادوا بهذه الأمة من ان تقع فريسة الصراع بين الدين والعلم ، والحروب الدموية الحمراء ، التى تأججت نارها واشتد أوارها بين المعسكرين المتنافسين — الدينى والعلمى — فى القرون الوسطى فى العالم المسيحى ، مما اضطر العالم الأمريكى « درابر » (John William Drapper) أن يضع كتابه الشهير « الصراع بين الدين والعلم »
Comfiet Bettwen Religion and Science

وظل هذا الواجب العظيم المبارك المفيد يودى عبر التاريخ الاسلامى ، وقبض الله فى كل عصر من المجددين والمصلحين والمتكلمين ومن قام بعرض جديد للاسلام ، وتقديم عصرى لتعاليمه بكل جدارة ومقدرة وتوفيق .

وبجانب ذلك لم يخل عصر من العصور الاسلامية من اولئك العلماء الراسخين فى العلم ، المتذوقين للشريعة الاسلامية ،

المطلعين اطلاقا، دقيقا على عقلية الجيل الجديد ، والاتجاهات والملابسات التي يعيشها ، الذين راقبوا هذا العرض الجديد العصري للاسلام مراقبة امينة ، حتى لا يواكب انحراف عن الصراط المستقيم ، وعدول عن الجادة التي وضع عليها سيدتنا محمد صلى الله عليه وسلم هذه الامة ، وحتى لا يختلف هذا « الذوق الدينى » و « الفهم الدينى » - الذى يكونه هذا التعبير الجديد عن الاسلام - عن « الذوق الدينى » و « الفقه الدينى » الاسلاميين الاصليين اللذين سيطلان « مثاليين » الى يوم القيامة ، وابدوا ملاحظاتهم عن هذا العرض الجديد للاسلام فى غير محاباة وتردد ، مع كل تقدير لهذا العمل والاعتراف بقيمته ، ومن غير شك فى نية القائمين بالتجديد والتعبير الجديد ، ووضعوا الاصبع - بكل حرية - على الأخطاء والعثرات ، والتطرف أو المغالاة التى وجدوها قد تطرقت الى هذا العمل الجليل ، وما حال بينهم وبين هذه الحسبة الدقيقة وابداء الملاحظة الصريحة عليه ، شهرة هؤلاء الكتاب والمفكرين العاملين فى مجال التقديم العصري للاسلام ، ولا مكانتهم فى ما كان يتسم به هؤلاء المفكرون المؤلفون ، من زهد وتقوى وورع ، وذلك لأن رائدهم كان مجرد الاخلاص والاحتساب ، فأعربوا عن آرائهم وملاحظاتهم وانطباعاتهم وما كانوا يتخوفونه من وراء ذلك من نتيجة سلبية سيئة ، فى كل ائزان

واقْتِصَاد ، وإخْلَاص وَحِيَاد ، غَيْر مَدْفُوعِينَ بِنَزْعَةٍ مِنَ النِّزَعَاتِ .
وَقَدْ اسْتَقْبَلَ هَؤُلَاءِ الْمَفْكَرُونَ وَالْمَجْتَدُونَ بِدَوْرِهِمْ هَذِهِ
« الْحَاسِبَةُ الْعِلْمِيَّةُ » وَالْمِرَاقِبَةُ الدِّينِيَّةُ الْمَخْلُصَةُ — فِي أَغْلِبِ
الْأَحْيَانِ — فِي سُرُورٍ وَإِنْشِرَاحٍ صَدْرٍ ، وَتَلْقُوهَا بِالْقَبُولِ وَالشُّكْرِ ،
وَعَنُوا بِهَا عَنِيَّةً جَدِيدَةً ، وَاسْتَفَادُوا مِنْهَا فِي عَمَلِهِمْ فَجَعَلُوهُ أَنْفَعًا
وَاجِدِيًّا ، وَاعْدَلُوا أَكْثَرَ خَيْرًا لِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا ،
وظَهَرُوا هَذِينَ النَّوْعِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَلِيلًا مُسْتَمِرًّا وَمُتَّصِلًا مِنْذُ فَجْرِ
التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَسَيُظَلُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كَمَا يَنْبَغِي بِهِ
الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الَّذِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ :

« يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُوْلَهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ
الْغَالِيْنَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطَلِيْنَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِيْنَ » (١) .
وَالْوَاقِعُ أَنْ وَجُودَ هَاتَيْنِ الطَّبَقَتَيْنِ ضَرُورِيٌّ ، وَعَلَى تَعَاوُنِهِمَا
الْعِلْمِيُّ الْمُبَادَلُ يَتَوَقَّفُ بِقَاءِ هَذَا الدِّينِ سَلِيمًا ، مُحَافِظًا عَلَى
أَصَالَتِهِ ، وَنَقَائِهِ ، بَعِيدًا عَنِ كُلِّ تَحْرِيفٍ وَعَبَثٍ ، وَافْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ ،
وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَغْذِي تَطَوُّرَهُ الْفِكْرِيَّ وَالْعَقْلِيَّ الْمُسْتَمِرَّ ، وَيَجْعَلُهُ
صَالِحًا لِكُلِّ عَصْرٍ وَمَعْرٍ .

مِنْذُ مَطْلَعِ الْقُرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ الْمَسِيحِيِّ ظَهَرَ فِي الْعَالَمِ

(١) مُشْكَلَةُ الْمَصَابِيحِ ، كِتَابُ الْعِلْمِ ، الْفَصْلُ الثَّانِي .

الاسلامى - الذى كان يعانى التدهور الفكرى والاتحطاط
السياسى - اضطراب فكرى عجيب(١) بفعل نفوذ أوربا السياسى
وتقدمها المادى الحثيث ، وغزوها المتتابع ، وانتصاراتها المتواصلة
فى مجال العلم والعلوم التجريبية ، مما جعل القيسام بعملية
« عرض الاسلام فى الاسلوب العصرى » فرض كفاية ان كان
مندوبا قبل ذلك ، فهؤلاء الشباب المثقفون ولا سيما الذين سافروا
الى اوربا فى اواخر القرن التاسع عشر او فى اوائل القرن
العشرين ، واحتكوا بأهلها ، وامكنهم ان يختلطوا بالحكام
الانجليز او المفكرين الغربيين ، قد تزعزعت جذور العقائد
الاسلامية فى قلوب كثير منهم بل تنكروا لها واثمازوا منها ،
ووقع منهم عدد كبير فريسة الردة الفكرية والحضارية(٢) .

هنالك نهض فى مختلف نواحي العالم الاسلامى كتاب وعلماء
حاولوا ان يواجهوا هذا الموقف الجرج ، وتقلدوا مسئولية الدفاع
عن الاسلام ، والشريعة الاسلامية ، والحضارة الاسلامية ،
وتاريخ الاسلام والمسلمين ، ونظام حكمهم وتعليمهم . وساهموا فى

(١) اقرأ للاطلاع على مراحل ارتقائه وتطوره فى الاقطار
الاسلامية كتاب المؤلف « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة
الغربية فى الاقطار الاسلامية » طبع دار القلم الكويتية ،
الطبعة الثالثة .

(٢) يرجع الى رسالة المؤلف السائرة « ردة ولا ايا بكر
لها » .

القيام بهذه الخدمة المشرفة ، فى كل من تركيا ، ومصر ، والشام ،
والهند ، كل حسب عقليته وثقافته ، ودراسته وتربيته ، وجدارته
ومقدراته ، وعلى الرغم من الاعتراف بقيمة هذه المحاولة
وجدواها — فقد انتشلت عددا وجيها من النفوس الصالحة ، من
حماة تلك البنبلة الفكرية ، والردة الحضارية التى كانت تهب
أعاصيرها الهوجاء فى العالم الاسلامى ، فانها كانت تقسم
بالأساليب الدفاعية والاعتذارية ، تبدو كأنها ترمى أولا وقبل كل
شئ الى ازالة الفجوة — او تضييقها على الأقل — بين الحضارة
والقيم الاسلامية والحضارة والمثل الغربية ، كما كانت تنم عن تقبل
المصطلحات السياسية والاقتصادية الغربية على علاقتها او تطبيقها
على التعاليم الاسلامية والتاريخ الاسلامى ، دون تحفظ واحتياط ،
وربما نجدها تنطوى على تأويل بارد وتفسير غريب للاسلام
وتعاليمه . كأنه يهدف تقريب التعاليم الاسلامية الى المقررات
الغربية او المفاهيم التى آمن بها الغرب .

ومن ثم حاسب الراسخون فى العلم من العلماء المعاصرين
هذه المحاولة — مع الاعتراف بقيمتها الجزئية — محاسبة علمية
وأبوا ان تقبل الأمة المسلمة كلها هذا « الفهم الدينى » الذى تنتسئه
هذه الكتابات ، وأخذوا بأيدي جماعة كبيرة من الشباب المسلمين
المثقفين — الذين كانوا قد تأثروا بذلك — الى الصراط المستقيم ،

وعلى ذلك فقد سدوا منافذ « التحريف العناني » ، التي فتحتها
كتابات هؤلاء الأفاضل و « بحوثهم » .

وقد تم أكبر قسط من هذا العمل الذي يمتاز بمتانته وعمقه
واعتداله ، في الهند التي كانت أكبر مسرح للصراع بين الفكرة
الإسلامية والفكرة الغربية ، بحكم كونها خاضعة خضوعاً مباشراً
لسيطرة الاستعمار البريطاني ، وقد كانت الطبقة المثقفة المسلمة ،
والشعب المسلم الهندي يحمل الشيء الكثير من روح المقاومة
وقوة التماسك أمام الزحف الغربي المعنوي المدمر ، وذلك بفضل
وجود مراكز التعليم الديني والثقافة الإسلامية القوية في شبه
القارة الهندية ، وبتأثير العلماء الربانيين ، وأصحاب القلوب
المشرقة الصافية ، والحياة الإيمانية الجميلة الجذابة ، المؤثرة
للأجلة على العاجلة ، والتطوع والاحتساب ، على الرواتب
والمناصب ، الذين لم تؤثر الحضارة الغربية وقيمتها ومثلها في
حياتهم وتفكيرهم ، ثروة لم تكن متوفرة على كثير من البلاد
الإسلامية والعربية ، أو كانت هذه الروح قد ضعفت فيها
واضحلت من أجل اضطلال هذه العوامل والمؤثرات منذ
مدة طويلة .

وعى ناحية أخرى ، قد ملأ قلوب الشعب المسلم الهندي

كراهية وسخطا ما واجهه من اخفاق حرب الاستقلال المستميتة
فى ١٨٥٧ م التى قادها ضد الحكومة الانجليزية ، والشعب
البريطانى الاوربى المسيحى الذى كان يمثل هذه الحضارة وهذه
الفكرة ، وهذه الفلسفة للحياة ، وكان يحمل لواءها ويتبنى الدعوة
اليها ، وقد انبثقت من هذه الكرامية والسخط حركة الخلافة
الجبارة ، وحركة رفض الموالة مع الانجليز القوية فى الربع الاول
من القرن العشرين ، وكل ذلك حال بين الشعب المسلم الهندى
وبين انجرافه مع تيار الالحاد والردة الحضارية الذى كان ينطلق
ويتدفق بكل قوة من اوربا .

كانت مقاومة المفاهيم والقيم الغربية على قدم وساق تؤدى
دورها فى لون خاص ، اذ استرعى الاستاذ الكبير السيد ابوالاعلى
الموددى فى منتصف هذا القرن انتباه الطبقة المثقفة من المسلمين
بمقالاته القيمة التى كان يكتبها فى مجلته الغراء « ترجمان القرآن »
الصادرة من حيدرآباد - الهند ، فى نقد الحضارة الغربية ، ونظام
الحياة الغربى ، المقالات التى تتميز بأسلوبها الهجومى ، ونقدها
اللادع لحركة « التقدمية » و « والتجدد » وفكرة « القومية »
المتطرفة التى نجمت وباضت وفرخت فى حضان الثقافة الغربية ،
وكذلك طرق موضوعات وقضايا فى صميم الشريعة الاسلامية ،
والقوانين الاسلامية ، تلك المباحث والقضايا الهامة التى استهدفت

لهجمات « المتجددين » بصفة خاصة ، وسطر قلبه حولها مقالات قوية ، مؤثرة ، معضدة بالدلائل ، أمثال الربا ، والحجاب ، والجهاد والأضحية ، والرق ، وحجية الكتاب والسنة ، والأحوال الشخصية وما إليها من المسائل الهامة ، وسيكون من الاجحاف الكبير اذا لم نؤف حقه من الاعتراف بما لعبته مقالاته هذه — التي ظهرت فيما بعد فى صورة كتب ورسائل — ومؤلفاته ورسائله المستقلة من دور رائع فى اعادة الثقة الى الطبقة الذكية ، المثقفة بالثقافة الغربية ، بالاسلام وبقيمه وتصوراته ، وفى تخليصها من « مركب النقص » و « نفسية الهزيمة الداخلية » حيال الاسلام وتعاليمه ، مما جعل بعض الكتاب يدعوه « متكلم الاسلام » .

ولكان من حسن حظ الاسلام وسعادة جد المسلمين لو جعل الأستاذ المودودى هذا العمل وحده نصب عينيه وجند له مواهبه الغنية ، ووقف عليه حياته العلمية الخصبة ، ولكنه هب يمارس عملا آخر نستطيع ان نسميه (الصياغة الجديدة للفكر الاسلامى) واعتبره اساسا فكريا لنهضة المسلمين ، ولجمع كلمتهم ، وللجماعة الاسلامية ، ونعنى بذلك بصفة خاصة كتابه المستقل الذى اسماه « المصطلحات الأربعة فى القرآن » الذى فسر فيه تلك المصطلحات القرآنية الأربعة التى يدور عليها الاسلام ،

وتقوم عليه تعاليمه ودعوته ، واليهما تستند « اقامة الحكم الاسلامى » او « اقامة الدين » تفسيراً خاصاً يتميز بالطابع السياسى ويدور حول « حاكمية الاله » و « سلطان الرب » يحدد علاقة العبد بربه فى مفهوم خاص وفى حدود معينة وينحصر به عرض نزول القرآن والدعوة الاسلامية فى تأسيس « الحكم الاسلامى » و « اقامة الحكومة الالهية » فحسب .

وكان له موقف خاص هى نتيجة طبيعية منطقية نحو « الوسائل » و « الغايات » والعبادة والذكر ، والأركان الأربعة العملية .

والكتاب الذى بين يدى القارىء محاولة مخصصة ترمى الى الاعراب عن « خواطر » و « خلجات » كانت تساور النفس من مدة طويلة ، وعمل بالوصية النبوية « الدين النصيحة » .

وقد اجلنا هذا العمل سنين طويلاً رغم حوافز ملحة كثيرة الى تحقيقها وأسئلة كانت تتردد من جهات مختلفة عن الجماعة وأسسها الفكرية ، وعن طبيعة الاختلاف لها ، وأسبابه ، والكتابة فى هذا الموضوع شائك دقيق ، فله اتصال وثيق بمجموعة حبيبة من الاخوان الكرام ، والزملاء الفضلاء الذين يساهمهم المؤلف فى كثير من مجالات العمل الاسلامى ، والكفاح فى سبيل القضايا

الإسلامية ، واتصال وثيق بالحركة التي لا ينكر فضلها في إيقاف الفكر الإسلامي ، وإعادة الثقة إلى نفوس كثير من الشباب بصلاحية الإسلام ، والقوة الكامنة فيه للقيادة في هذا العصر ، وكذلك كان المؤلف لا يأمن أن يستغل هذا البحث لبعض مصالح سياسية أو حزبية ، أو يحمل ذلك على اتجاهات شخصية ، أو ردود فعل لا يسلم منها الإنسان إلا إذا عصمه الله .

وإذا كان هذا هو الشأن ، فالحديث في هذا الموضوع دقيق مطرح ، ومثير للتشككات والتساؤلات الكثيرة ، وقد سهل على الناس الاسترسال اليها والتوسع فيها ، وصعب عليهم حسن الظن بصاحبه والتماس العذر له ، وقد طال العهد بالنقد البريء النزيه، المجرد من الأغراض السياسية والدوافع الشخصية، الذي لم يكن يبتغى به إلا وجه الله ، وحب هذا الدين الذي هو مصدر كل خير وسعادة ، وعزة وقوة ، وإيثاره على الأشخاص والجماعات ، والرئاسات والقيادات ، وعلى أصحاب المواقف المحسودة ، والمآثر الجليلة في الدعوة والتربية ، والجهاد والبطولات ، كما كان شأن أئمة الجرح والتعديل من المحدثين ، في أمر كبار الصالحين ، والزهاد والمتقنين ، وأئمة فن التزكية والتربية وأمراء الجيوش الإسلامية ، وقادة الفتح ، وخلقاء

المسلمين (١) .

وقد أضاف الى هذه المشكلة أن منهج المؤلف الذى التزمه فى تأليفه كان منهجا علميا يقسم بالايجابية والهدوء ، والابتعاد عن المسائل الخلافية والمناقشات اللفظية ، واذا كان لابد من ذلك تعرض له جانبيا(٢) ، ثم عاد الى خطه الاول من الحديث فى المبادئ والأسس ، والأهداف والغايات ، ولم يكن من السهل عليه ، والمرغوب له ، العدول عن هذا المنهج الذى آثره لنفسه وحافظ عليه طوال حياته(٣) .

ولم يقدم المؤلف الى هذا البحث الا حين عرف وعاش كثيرا من الذين تخرجوا فى المدرسة الفكرية التى تقوم على كتابات الأستاذ المودودى وحدها ، وتعتمد على فهمه للدين ، وتفسيره له ، ورضعوا بلبانها ، ونشأوا فى أحضانها ، لا يدينون فى ثقافتهم الدينية وفهمهم لحقيقة الدين لمدرسة دينية أخرى — بمعنى المدرسة الواسع — او لمكتبة اسلامية أخرى — بمعنى المكتبة

(١) يرى القارىء نماذج رائعة من هذا النقد الصريح الأمين فى كتب الجرح والتعديل مثل «كتاب المجروحين» لابن حبان، «وميزان الاعتدال» للذهبي ، ومقدمة صحيح مسلم .
(٢) كما فعل فى كتاب «النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن» .
(٣) يستثنى من ذلك كتابه «القاديانى والقاديانية» وهو الكتاب الوحيد الذى الفه فى الرد على طائفة مارقية تدعى الاسلام .

الواسع — وإذا كان لهما نصيب في عقليتهم وثقافتهم الدينية ، فهو نصيب ضئيل سطحى ، وأقزعه اتجاهات فكرية ، وفهوم وتفسيرات للذين بدت طلائعها في الحديث والكتابة ، والفكر والتأليف ، والعمل والتطبيق ، وخاف أن تنشأ طبقة أو مجتمع فيه عدد كبير من الشباب الأنكياء المثقفين ، والعاملين لجد الإسلام المخلصين ، من أصحاب الهمة العالية ، والنظر البعيد ، والإيثار وروح التضحية ، في خدمة الإسلام والمسلمين ، على منهج يختلف عن المنهج الإسلامى الأول في الروح والدوافع ، والنفسية والعقلية ، والأهداف والغايات ، والمثل والقيم ، ويضعف ما جاهد له الرسول وأصحابه ، من إخلاص الدين لله ، والعمل للآخرة ، وروح «الإيمان والاحتساب»^(١) المسيطرة على الحياة كلها ، السارية في الأعمال والتصرفات بأسرها ، ويتحول هذا الكفاح

(١) تشترط الأحاديث الصحيحة الكثيرة « الإيمان والاحتساب » لوقوع الأعمال الصالحة — حتى الفرائض والواجبات — موقع القبول عند الله ، واستحقاق الفاعل للثواب والأجر عليها ، جاء في صحيح البخارى « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » « ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وجاء بيان « الإيمان والاحتساب » في رواية للبخارى كما يلي : « رجاء ثوابها وتصديق موعودها » وتلك هي روح الأعمال ، والقوة التى تحرك الأمة للعمل ، والاحتفاظ بهذه الروح الى يوم القيامة مسئولية عظيمة على عاتق الدعاة والمصلحين فى هذه الأمة .

الى مجرد عملية تنظيم جماعى ، او مجاولة ، الحصول على الحكم
والسلطان للمسلمين ، وقد يكون تحولا لا رجعة بعده الى الأصل .
والمصدر ، كما جرب ذلك مرارا فى تاريخ الأديان والفرق ،
والدعوات والحركات ، فأقبلنا - مضطرين . علم الله - على التنبيه
على هذا الخطر - ولو كان غامضا أو بعيدا - فالحب يبعث على
الاشفاق ، والنصح يدفع الى الانذار .

والمؤلف يحمد الله على أنه وفقه لتأليف هذا الكتاب فى حياة
الأستاذ المودودى ، فقد وضعه فى رمضان ١٣٩٨ هـ (أغسطس
١٩٧٨ م) ، وصدر من المطبعة فى المحرم ١٣٩٩ هـ (ديسمبر
١٩٧٨ م) ، وبادرت بارسال نسخة منه مع رسالة شخصية رقيقة
اليه اعتذر فيها عن هذا النقد العلمى الذى كان رائده الاخلاص
والاشفاق ، والنصيحة لله ولرسوله ولدينه ، وابداء بعض
الملاحظات عن بعض تحقيقاته وتعبيراته ، وقد ظل الطرفان على
صلات ودية ، وحسن ظن كل واحد بصاحبه ، واعتراف وتقدير ،
وجاعنى رد لائق بمقامه العلمى والدعوى ،
وحسن تلقيه للبحوث العلمية ، كتبها فى ٢٣ من
يناير ١٩٧٩ م من لاهور ، يشكر فيها على هذه الملاحظات ويدعو
المؤلف الى مراجعة سائر كتاباته ومؤلفاته ، وابداء مايتخوف منه
على الفكرة الدينية الصحيحة ، ويقول : « اننى لا أستطيع ان

أقول أنى سأوافق عليها تماما ، ولكنى سأأمل فيها ، وأننى لا أعتبر نفسى فوق مستوى النقد ، واختلاف وجهات النظر » ، وظهرت للكتاب طبعة فى باكستان أطلع عليها أعضاء الجماعة الإسلامية ، وتناول الكتاب المجلات والصحف الباكستانية - بما فيها المجلات والصحف التى تعتبر لسان حال الجماعة - بالنقد والتقريظ وعلقت عليه ، كما تحدثت عن الطبعة الهندية الصحف والمجلات الإسلامية التى تصدر فى الهند ، وبعض مجلات الجماعة وصحفها .

وفوجىء العالم الإسلامى وفجع بوفاة هذا المفكر الإسلامى الكبير فى ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٩ م ، وفوجىء المؤلف بالنسباً وهو فى دلهى فى حفلة المجلس الاستشارى للجماعات والقيادات الإسلامية فى الهند ، وشاء الله أن يكون بجوار زملائه وأصدقائه أعضاء الجماعة الإسلامية الهندية، وهم من أنشط أعضاء هذا المجلس الاستشارى العاملين - صباح يوم الأحد ١٣٩٩ هـ (٢٣ من سبتمبر ١٩٧٩ م) ويلقى كلمة عزاء وتأبين فى إحدى حفلات هذا المجلس التى مثلت فيها كل المنظمات الإسلامية السياسية وحضرتها شخصيات الشعب الإسلامى البارزة ، بمناسبة معركة الانتخابات القادمة للبرلمان الهندى ، ويدلى بحديث ضاف على اثر عودته من العاصمة اتى مقر عمله ، عن الراحل العظيم ، لندوب المعهد العالى للدعوة والفكر الإسلامى

ندوة العلماء - لكهنؤو(١) ، وفى تفصيل أكثر لندوب صحيفة ندوة العلماء الأردنية « تعبير حياة » ، يذكر فيه صلته بالرحوم الأستاذ المودودى التى يرجع تاريخها الى الثلاثينات الأولى من هذا القرن. المسيحى ، ومساهمته اياه فى الدعوة والفكر ، مع مقتطفات من رسائله ، تلقى ضوءا على ما كان بينهما من صداقة وثقة وتقدير :١٥

والمؤلف الآن يحمد الله على انه لم يضطر الى نشر هذه الملاحظات النقدية على اثر وفاة الأستاذ المودودى ، وان كان الحق حقيقا بأن يقال فى الحياة وبعد الممات ، وقد جرى على ذلك كثير من علماء الاسلام ، فأبدوا آراءهم الحرة وملاحظاتهم الجريئة عن كبار الراحلين بعد وفاتهم ، ولم يشعروا فى ذلك بخرج أو اساءة الى الراحلين ، والحق أولى من الرجال ، ولكن ابداء ما يريب ويحيك فى الصدر فى حياة من يتصل به هذا التعليق أو النقد ، أولى وأجمل ، وأيسر وأسهل ، من ابداءه ، بعد وفاته بأيام وشهور ، والله المسئول أن يجزل له مثوبة الدعاة والمجاهدين ، ويغفر له الزلات التى لا يخلو عنها المتحرون للحق من الكتاب والمفكرين ، والعلماء والمؤلفين .

(١) وقد ظهر هذا الحديث فى صحف الندوة العربية وبعض المجلات فى العالم العربى .

ونرجو ان اخواننا الذين يفتنون الى « الجماعة الاسلامية » سيكونون فى مقدمة من يرحب بهذا الكتاب . ويقراوه قراءة جد وامعان ، ولا يسارعون الى اتهام هذا العمل بعصبية حزبية ، او بنزعة شخصية ، او ارضاء حاجة ذاتية، ولا يرون فيه معارضة للحركة الاسلامية ، او محاولة اقامة الحكم الاسلامى الذى بدت تبائسره ساطعة فى الأفق ، ويجب أن يستبشر به كل من يحب هذا الدين ، ويسعى لجد هذه الامة ويعمل لانهاض الاسلام والمسلمين .

والذين يحاولون أن يخدموا الدين بكل جد واخلاص ، ولا يريدون الا اعلاء كلمة الله ورفع شأن الاسلام ، وينشئدون الحق والصواب ، ويحرصون على تصحيح « الفهم الدينى » وتصميده واكماله ، والحق هو المقياس الوحيد لديهم — أولا: واخيرا — لا جماعة من الجماعات — مهما كان وثيق الصلة بها — ولا فرد من الافراد — مهما كان عظيما عنده — فانهم دائما يتلقون النقد الايجابى البناء ، والآراء والتوجيهات المخلصة مهما خالفت آراءهم ، بصدر رحب ، وقلب منشرح .

وكانت هذه الحسبة العلمية المخلصة التزينة ، فى طليعة العوامل التى صانت الامة المسلمة عن الانحراف عن الجادة ، والتحريف للدين والشذوذ الجماعى ، والعثرة المردية ، فى تاريخها

الطويل ، ورحلتها الشاقة الشاسعة فى ميادين الاجتهاد ،
والتجربة ، والاستنباط والاستنتاج ، واجهاد الفكر والرأى ، ويرجع
اليها الفضل فى تلقيح الأفكار ، وتنقيح الأنتظار ، وتوسع المكتبة
الاسلامية الفقهية التوسع الذى لا نظير له فى تاريخ الديانات
والثقافات ، ودفع الحرج عن الأمة ، وانارة السبيل للمسالكين ،
وحفظ القادة والزعماء ، والمفكرين والعلماء عن الافتيات فى
الرأى ، والاعجاب بالنفس وادعائهم أو ادعاء اتباعهم العصمة
لهم ، وحفظ الأمة عن أن تقع فريسة لغلو أو تطرف أو شذوذ
أو عثرة .

وقد فقدت هذه الحسبة - العلمية الدينية - أو ضعفت
ضعفا كبيرا فى ديانات أخرى ، خصوصا فى المسيحية ، فكانت
فريسة تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ،
ونشأت اجمات كثيفة ، وغايات مخيفة ، على أديم هذه الديانات
توارت عنها اصلتها وتعاليمها الأولى ، ولذلك شددت الشريعة
الغراء على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والقيام
بهما فى كل زمان ومكان ، وحذرت من التوانى فيهما والمحاسبة
لأهل الوجاهة والسلطان ، وجعلت « كلمة حق عند سلطان
جائر » أفضل الجهاد ، وقام به المسلمون ، وخصوصا علماءهم
بهذه الفريضة فى كل زمن فاسد وحكم جائر ، وسمح له أمير

المؤمنين عمر لكل ضعيف ومغمور ورحب به ، فقال : « لا خير فيهم اذ لم يقولوها لنا ، ولا خير فينا اذ لم نقبل » (١) وقال مرة : « امرأة أصابت ورجل أخطأ » (٢) .

ولا يمنع من هذا التنبيه على خطأ أو زلة ، والارشاد الى الأتبع الاصلاح ، أو الأتوم الاسلام ، تبوء من تعرض لهذا الخطأ الاجتهادى أو السهو والنسيان اللذين هما من خصائص الانسان مكان قيادة ، أو اشتغاله بمصلحة اجتماعية للأمة ، أو سلامة نية ، أو غناؤه فى كفاح أو نضال ، فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يبنهون أفضل الرسل وخير البشر صلى الله عليه وسلم على السهو ، وقد قال ذو اليدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى الرباعية اثنتين : اقتصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ (٣) وعزل أمير المؤمنين عمر - وهو أعرف المسلمين بمصالح

-
- (١) كتاب الخراج للامام أبى يوسف ص ٧ .
(٢) أخرج عبد الرازق عن عمر أنه قال « لا تغالوا فى مهر النساء : فقالت امرأة : ليس ذلك نك يا عمر ان الله تعالى يقول (وآتيتهم احداهن قنطارا) فقال عمر : امرأة خاصمت عمر فخصمته » وأخرجه الزبير ابن بكار بلفظ « امرأة أصابت ورجل أخطأ » (راجع نيل الأوطار ج ٦ ص ١٧٠) .
(٣) روى الترمذى فى الجامع الصحيح بإسناد عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم انصرف من اثنتين ، فقال ذو اليدين اقتصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق ذو اليدين ؟ ، فقال الناس نعم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتين الأخرين ثم سلم ، ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم كبر فرفع فسجد مثل سجوده أو أطول ، سنن الترمذى أبواب الصلاة ، والحديث فى الصحيحين والموطأ .

الاسلام والمسلمين - سيدنا خالدا في معركة اليرموك ، وهي ،
المركبة العاصمة المصرية في تاريخ الاسلام ، ونصب ابا عبيدة
مكانه ، ولو أخذ المسلمون في ماضيهم عدم اهداث التمشيش في
صفوف المسلمين بعين الاعتبار وكفوا عن التنبيه على الزلل والخطأ ،
لانتقع هذا التيار الحيوى المبارك من حركة الأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر ، والحسبة في الدين ، والشهادة بالحق ، عن
جهاز الأمة الاجتماعى والخلقى ، ووقف القلب عن توزيع الدم
الصحيح الى الشرائين والعروق ، وكان ما يعقب ذلك من التباس
الأمور على أهل العلم والرأى ، وانجراف الصامة للتيارات ،
واختفاء كثير من حقائق الدين ، أعظم وأجل من اعتراف هذا
القائد أو الامام أو العبقري بخطئه في التعبير ، أو تقصيره في
الفهم أو التفهيم ، فان العصمة لله وحده ، وكل يؤخذ من قوله
ويرد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما « الجماعة الاسلامية » فهي أولى بالعمل بهذا المبدأ
فدستورها الأساسى ينص على ذلك فيقول :

« لا يعتبرن - أحد - أحدا معيارا للحق ، الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يظنه أعلى من أن يناله أحد بالنقد أو يجد
فيه مأخذا ، ولا يسوغ لأحد أن يخضع لآخر عقليا وفكريا ، بل يجب .

عليه أن يقيس كل انسان بهذا المقياس الالهي الكامل ، ويضعه بعد القياس والوزن في مكانه الذي يستحقه»(١) .

ونحن نستبعد جدا من الجماعة التي كان منطلقها من النقد الجريء الشامل لكل العصور الاسلامية ، والمطبقات الاسلامية ، وتقييم الحركات والجهود تقييما حرا بعيدا عن كل عصبية جماعية واحكام تقليدية ، ان يكون عند اعضائها في الداخل او اصديقتها في الخارج ، تعظيم يبلغ حد التقديس لؤسسها والداعي اليها ، وأن تكون عندهم حساسية زائدة في كل ما يوجه له من نقد او ملاحظات او مأخذ(٢) .

وقد ضرب الاستاذ ابو الأعلى المودودي لذلك مثلا عمليا حينما وضع كتابه « التجديد وحياء الدين » (باللغة الأردنية) الذي تناول فيه مآثر عدد من كبار رجال التجديد والاصلاح في تاريخ الاسلام بالنقد والتحليل ، ولم يحل بينه وبين ان يبدي

(١) دستور الجماعة الاسلامية الهندية — معدلا — طبع المكتبة الاسلامية المركزية .
(٢) كانت مفاجأة حقا للمؤلف حين تلقى رسائل حانقة تنبئ عن استياء شديد ، ونقد لاذع من عدد من المنتمين الى الجماعة في الهند على اثر صدور الطبعة الأردنية لأنه كان يتوقع منهم ان يكونوا اوسع صدرا ، وأكثر احتمالا من غيرهم من غلاة المنتسبين الى جماعات أخرى ، وانهم يميزون بين الخلف الشخصي الحادث والاختلاف البدئي الهادف .

آراءه وانطباعاته نحو هؤلاء الاعلام ، عظمتهم وشهرتهم ، وعلو
مكانتهم عند الناس .

وهذا الكتاب الذى هو بين يدي القارئ الكريم ، محاولة
متواضعة فى هذا الاتجاه الذى سار فيه الأستاذ أبو الأعلى ،
ومعذرة ، فلا يطبق قانون « اتجاه واحد » (One way Traffic) ،
الذى يعمل به فى تنظيم حركة المرور ، على النقد العلمى ،
والبحث عن الأصـلح الأنفع ، وعرض حـصيلة
الدراسات ، وعصارة التفكير ، ولو طبق هذا القانون على عالم
التفكير والتأليف لشل الذهن الانسانى ، وتعطلت الحركة العلمية ،
ووقف سير الاصلاح والتجديد ، والموافاة بالمتنيد الجديد ، الى الامة
التي هى كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء تؤتى أكلها
نكل حين باذن ربها .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

١٣ من ذى القعدة الحرام ١٣٩٩ هـ

٩ اكتوبر سنة ١٩٧٩ م

راىء بريلى ، (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

هل بقيت المصطلحات الأربعة القرآنية مجهولة مغمورة عبر قرون متطاولة ، وغابت عن الناس روح الاسلام الحقيقية ؟

يحاول المؤلف الشهير والمفكر الاسلامى المعاصر الأستاذ أبو الأعلى المودودى مؤسس « الجماعة الاسلامية » فى كتابه المعروف « المصطلحات الأربعة فى القرآن » أن يؤكد — وهو يتحدث عن كلمات : « الاله » و « الرب » و « الدين » و « العبادة » — ان هذه الكلمات القرآنية والمصطلحات الاسلامية الأساسية ، كان يفهمها جيدا كل من كان يخاطبه القرآن لدى نزوله ويدرك أغوار معانيها الأصيلة ، لأن القرآن عربى وكان المخاطب عربيا ، يقول :

« لما نزل القرآن فى العرب وعرض على الناطقين بالضاد »
كان حينئذ يعرف كل امرئ منهم ما معنى « الاله » وما المراد

بـ « الرب » لأن كلمتى « الاله » و « الرب » كانتا مستعملتين
فى كلامهم منذ ذى قبل ، وكانوا يحيطون علما بجميع المعانى
التي تطلقان عليها ، ومن ثم اذا قيل لهم : لا اله الا الله ولا رب
سواه ولا شريك له فى الوهيته وربوبيته ، أدركوا ما دعوا اليه
تماما ، وتبين لهم من غير ما لبس ولا ابهام أى شىء هو الذى قد
نفاه القائل ومنع غير الله أن يوصف به ، وأى شىء قد خصه
وأخلصه لله تعالى ، فالذين كفروا انما كفروا عن بينة ومعرفة بكل
ما يبطله وينعى عليه كفره بالوهية غير الله وربوبيته ، وكذلك من
آمن فقد آمن عن بينة وبصيرة بكل ما يوجب قبول تلك العقيدة
الأخذ به أو الانسلاخ عنه .

» وكذلك كانت كلمتا « العبادة » و « الدين » شائعتين فى
لغتهم وكانوا يعلمون ما العبد ، وما الحال التي يعبر عنها
بالعبودية ، وما هو المنهاج العملى الذى يطلق عليه اسم
« العبادة » وما مغزى « الدين » وما هى المعانى التي تشتمل
عليه هذه الكلمة ؟ ومن ثم لما قيل لهم : « ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت » وأدخلوا فى دين الله منقطعين عن الأديان كلها
ما أخطأوا فى فهم هذه الدعوة التي جاء بها القرآن . وما أن
قرعت كلماتها اسماعهم حتى تبينوا : أى نوع من التغيير فى نظام

حياتهم جاءت تطالبهم به تلك الدعوة ؟ «(١) .

لكن الحال لم يعد على هذا المنوال ، بل غسبت عن الناس وخفيت عليهم هذه الحقائق المشرقة ، وتراكم على المصطلحات الأربعة في القرآن — التي هي في منزلة المبادئ الأولية لدى الإسلام — غبار كثيف من الجهل والعجمة ، والغفلة والاهمال ، وكان ذلك على اثر انقراض عهد النبوة ، والجيل الذي أدرك العصر الجاهلي ونشأ في الإسلام ، يقول الاستاذ الفاضل في السطور الآتية :

« ولكنه في القرون التي تلت ذلك العصر الزاهر ، جعلت تتبدل المعانى الأصلية الصحيحة لجميع تلك الكلمات ، تلك المعانى التي كانت شائعة بين القوم عصر نزول القرآن ، حتى أخذت تضيق كل كلمة من تلك الكلمات الأربع عما كانت تتسع له وتحيط به من قبل ، وعادت منحصرة في معان ضيقة محدودة ومخصوصة بمدلولات غامضة مستبهمة ، وذلك لسببين اثنين :

« الأول : قلة الذوق العربى السليم ونضوب معين العربية الخالصة في العصور المتأخرة ، والثانى : أن الذين ولدوا في

(١) « المصطلحات الأربعة في القرآن » ص ٨ — ٩ الطبعة الرابعة طبع « الدار الكويتية » .

المجتمع الإسلامى ونشأوا فيه ، لم يكن قد بقى لهم من معانى كلمات « الاله » و « الرب » و « العبادة » و « الدين » ما كان شائعا فى المجتمع الجاهلى وقت نزول القرآن . ولأجل هذين السببين أصبح اللغويون والمفسرون فى العصور المتأخرة يشرحون أكثر كلمات القرآن فى معاجم اللغة وكتب التفسير بالمعانى التى فهمها المتأخرون من المسلمين بدلا من معانيها اللغوية الأصلية ، ودونك من ذلك أمثلة :

« ان كلمة « الاله » جعلوها كأنها مترادفة مع كلمة الأصنام والاثان ، وكلمة « الرب » جعلوها مترادفة مع الذى يربى وينشئ ، وللذات القائمة بأمر تربية الخلق وتنشئتهم . وكلمة « العبادة » حدودها فى معانى التأله والتسك والخضوع والصلاة بين يدى الله . وكلمة « الدين » جعلوها نظيرا لكلمة النحلة (Religion) وكلمة « الطاغوت » فسروها بالصنم أو الشيطان (١) »

ثم يقول وهو يتحدث عن نتائج هذا التغيير فى الفهم والادراك :

« فمن الحق الذى لا مرأى فيه انه قد خفى على الناس

(١) المصدر نفسه ص ١٠٩ .

معظم تعاليم القرآن ، بل وغابت عنهم روحه السامية وفكرته المركزية ، مجرد ما غشى هذه المصطلحات الأربعة الأساسية من حجب الجهل ، وذلك من أكبر الأسباب التي قد تطرق لأجلها الوهن والضعف الى عقائدهم وأعمالهم على رغم قبولهم دين الإسلام وكونهم في عداد المسلمين» (١) .

صلاحية الأمة للأخذ والتلقى والفهم ،

ومزية القرآن في الإبانة والوضوح والافادة .

ولا يبعد أن يفهم منه القارئ الذي لم يتعمق في العلم ، ولم يقو إيمانه بحفظ هذا الكتاب الخالد — بجميع معاني الكلمة — وصيانة هذه الأمة عن الضلال العام ، والجهالة المطبقة المخيمة على الأمة عبر المسافات الزمانية والمكانية ، أن القرآن قد بقى هذه المدة الطويلة ملتبسا على الأمة أو — في تعبير متحفظ — على أكثر أفرادها ، ومضت على ذلك قرون وأجيال ولم تتبين الأمة حقيقة الكلمات التي يدور عليها هذا الكتاب ، وتقوم عليها تعاليمه ودعوته ، الا في العصر الأخير حين قبيض الله لفهمها ورفع اللثام عنها بعض الكتاب الإسلاميين .

(١) نفس المصدر ، ص ٩ — ١٠ .

وهذا الفهم وان بدا أمرا غير ذى خطر ، ولكنه عميق
الجدور بعيد العواقب فى التفكير الاسلامى ، لأنه يشكك فى
صلاحية هذه الأمة ومركزها القيادى والدعوى ، وفى فهم هذه
الأمة لهذا الكتاب والعمل به فى تاريخها الطويل ، ويقلل من
قيمة مآثر المجددين والمصلحين والمجاهدين العلمية والعملية ، فان
الكتاب الذى لم يفهم حق الفهم فى أطول مدة وأخصبها عملا وعلمًا
وكفاحا ، يشك فى إبانته ووضوحه وإفادته ، ويشك فى كل
ما يقال عنه ويفسر به فى هذا العصر وبعده ، وذلك يفتح الباب
للتوسع فى تأويله على مصراعيه — كما فعلت الباطنية فى مختلف
أشكالها — ويشجع المحاولات التى ترمى الى تحويل الحقائق
الدينية الى لغز مستعص على الفهم والادراك .

الصلة بين الكلمات والمعانى :

وقد يعجز كثير من القراء الكرام الذين لا يتمتعون بنظرة
عميقة فى التاريخ ، تاريخ المذاهب والفرق ، عن اساعة هذا
الأجمال ، فنرى من المناسب أن نثبت هنا ما قلناه عن هذه
«الاستراتيجية» الدقيقة التى استخدمتها الباطنية ، فى الجزء الأول
من كتابنا « رجال الفكر والدعوة فى الاسلام » :

« انهم لاحظوا أن أصول الديانة الاسلامية وعقائدها

واحكامها ومسائلها ، انما عرضت فى أطر الفاظ وكلمات تدل عليها وتعبر عنها وكان لابد من ذلك عند كل رسالة جديدة ، والله يقول : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » (١) وقد تعينت معانى هذه الكلمات ومفاهيمها ، وتواتر ذلك عمليا ولفظيا فى الأمة وعرفته الأمة الاسلامية ودانت به ، فكل من كلمات « النبوءة » و « الرسالة » و « الملائكة » و « المعاد » و « الجنة » و « النار » و « الشريعة » و « الفرض » و « الواجب » و « الحلال » و « الحرام » و « الصلاة » و « الزكاة » و « الصوم » و « الحج » يؤدى معنى خاصا ، وتمهم منها مفاهيم خاصة لايشك فيها مسلم ، ولا يختلف فيها اثنان ، وكما ان هذه الحقائق الدينية - التى تعبر عنها هذه الكلمات - ظلت محفوظة فى الأمة تتوارثها الأجيال ، وتنتقل مع الزمان ، كذلك هذه الكلمات ثروة محفوظة لم تعبث بها يد التحريف ، وقد أصبح كل منها لازما وملزوما لصاحبه ، فإذا أطلقت كلمة « الصلاة » - مثلا - انتقل الذهن الى هيئة عبادة خاصة ، فيها قيام وركوع وسجود وقراءة وتسليم ، الى غير ذلك مما يدخل فى أركان « الصلاة » وأجزائها وأوضاعها ، وكذلك اذا أطلقت كلمة « النبوءة »

(١) سورة ابراهيم : ٤

أو « المعاد » تعين منهما ذلك المفهوم الإسلامى الذى يفهمه المسلمون
ويدبلون به .

لقد أدرك « الباطنية » بذكائهم ، ان هذه الصلة القائمة بين
الكلمات والمصطلحات الدينية ومعانيها ، أساس تقوم عليه الحياة
الإسلامية ، والهيكل الفكرى والعملى فى حياة المسلمين ، ولهذه
الصلة تدين الوحدة الدينية والفكرية التى يمتاز بها المسلمون ، وعن
طريق هذه الصلة يتصل المسلمون بماضيهم وبمنابعهم الصافية ،
فاذا انتطعت هذه الصلة — بين الكلمات والمعانى — وأصبحت
الكلمات لا تدل على معنى خاص ومفهوم معين ، أو تسرب الشك
والاختلاف إليها ، أصبحت هذه الأمة فريسة لكل دعوة وفلسفة ،
وساغ لكل أحد أن يقول ما يشاء ، ويروج على كثير من العامة
وأشباه العامة بل الخاصة ، وعمت الفوضى العقلية والدينية ،
وذلك ما يريدون ، ومنه يدخلون «(١)» .

المزايا الأساسية للقرآن :

ثم ان هذه الفكرة تخالف الحقيقة العلمية ، والعقيدة الدينية ،
وهى أن هذه الأمة لم تتلق الدين فى صورة الكتاب فحسب ،

(١) رجال الفكر والدعوة فى الإسلام الجزء الأول ، ص ١٦٦
— ١٦٧ — ١٦٨ الطبعة الثانية . طبع « دار القلم » الكويت .

بل ظلت تنتقل الكلمات والمعانى والمفاهيم من جيل الى جيل ،
وظلت هوارثها الاجيال ، حتى التطبيق العملى أيضا .. فضلا عن
انه ينافى وصف الله تعالى لهذا الكتاب بالابانة والوضوح فى غير
ما موضع من القرآن :

جاء فى مستهل سورة يوسف :

« الر ، تلك آيات الكتاب المبين ، انا انزلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون » (١) .

وفى مطلع سورة الحجر :

« الر ، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (٢) .

وفى مفتتح سورة النمل :

« طس ، تلك آيات القرآن وكتاب مبين » (٣) .

وفى الآية الاولى من سورة الشعراء :

« طسم ، تلك آيات الكتاب المبين » (٤) .

وتتحدث سورة الشعراء عن صلاحية الابانة والتفهيم التى
يفيىض بها الوحي - الذى نزل به الروح الامين : جبرئيل ، على
قلب النبى صلى الله عليه وسلم - فتقول :

« وانه لتنزىل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على

(١) سورة يوسف : ١ - ٢ (٢) سورة الحجر : ١
(٣) سورة النمل : ١ (٤) سورة الشعراء : ١ - ٢

قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين « (١) .

وتبتدىء سورة حم بالكلمات الآتية :

« حم والكتاب المبين » (٢) .

وهل يسوغ لعاقل أن يعتقد أن ذلك الكتاب — الذى نص القرآن مرارا وتكرارا وفى قوة وثسدة والحاح ، على ابانته ووضوحه وكونه سهلا سائفا للفهم — عجز عن تفهيم مصطلحاته الأربعة — التى يدور حولها نظامه الاعتقادى والعملى والدعوى — وتقريب معانيها الحقيقية ومفاهيمها الأصلية الى العقول والأذهان ؟ (٣) !

وقد نص القرآن فى غير موضع منه على أن آياته محكمة

ومفصلة :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن

أم الكتاب » (٤) .

« وإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ، رأيت

(١) سورة الشعراء : ١٩٢ (٢) سورة حم : ١ — ٢

(٣) يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى نفسه فى تفسير كلمة « المبين » : « أنها تعنى أن هذه آيات القرآن الذى يفصح عن مفاهيمه ومدلولاته فى صراحة ووضوح » الجزء الثانى من تفهيم القرآن (اردو) راجع تفسير سورة الحجر .

(٤) سورة آل عمران : ٧

الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظراً المغشى عليه من الموت « (١) .

« الر ، كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لادن حكيم خبير « (٢) .

يقول المفسر الشهير الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسمعيل ابن كثير (م ٧٧٤ هـ) فى تفسير « محكمات هن أم الكتاب » : « أى بينات واضحات الدلالة ، لا التباس فيها على أحد » وينرد فى هذا المعنى قول محمد بن اسحاق بن يسار : « فهن حجة الرب وعصمة العباد ، ودفع الخصوم الباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعنا عليه « (٣) .

ويقول العلامة شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألوسى (م. ١٢٧٠هـ) فى تفسيره المعروف « روح المعانى » لدى الحديث عن « محكمات » : « صفة آيات : أى واضحة المعنى ، ظاهرة الدلالة ، محكمة العبارة ، محفوظة من الاحتمال والاشتباه « (٤) .

-
- (١) سورة محمد : ٢٠ (٢) سورة هود
(٣) أنظر تفسير ابن كثير — سورة آل عمران .
(٤) « روح المعانى » الجزء الأول ، سورة آل عمران

أما كون الآيات القرآنية مفصلة ، فقد جاء النص على ذلك
فى ١٥ موضعا من القرآن الكريم ، فى مختلف الصيغ وأنواع
الأساليب (١) .

ان هذه الصفات والنعوت هى الأخرى تنافى الفكرة القائلة
بأن العديد من الحقائق القرآنية ظلت خافية على الناس الى مدة
طويلة .

ثم ان هذا الأسلوب من التفكير يناقض قوله تعالى : « انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) والوعد بالحفظ فى
موضع الامتنان وتذكير الفضل والاحسان ، يستوجب الفهم
والشرح والعمل والتطبيق ، فلا خير فى كتاب يبتى ولا يفهم
ولا يعمل به وقد قال لرسوله :

« ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم
ان علينا بيانه (٣) » .

يقول حكيم الاسلام أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى

(١) اقرا الآيات : ٥٨ ، ٩٧ ، ٩٨ و ١٢٦ من الأنعام . و ٣٢
٥٢ ، ١٧٤ من الأعراف . و ١١ من التوبة . . . و ٥ من يونس . .
٢٤ و ٢٨ من الروم . . و ٢ من الرعد . . و ١ من هود . . و ٣ ،
٤٤ من فصلت

(٢) سورة الحجر : ٢١

(٣) سورة القيامة : ١٧ — ١٩

(م ١١٧٦هـ) فى كتابه القيم « ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء » فى معرض الحديث عن « ان علينا بيانه » :

« يقول الله تبارك وتعالى : ان علينا ابانة القرآن وايضاحه فسنظل نقيض فى كل عصر جماعة كثيرة العدد تقوم بشرح كلماته التى تحتاج الى الايضاح ، وبيان أسباب النزول ، حتى يتحقق الناس مفاهيمها الأصلية ومصاديقها الصحيحة ، الا أن دوره يأتى بعد حفظ القرآن وتبليغه ونشره ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه هو المفسر للقرآن وشارحه الأول . . وجاء دور تفسير القرآن - فى الواقع العملى - بعد ما تم تدوينه وجمعه فى المصاحف ، وبعد ما عمت تلاوته وقراءته ، وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه هو رائد هذا العمل (١) » .

اذا فبعد هذا الوعد الالهى المؤكد الصريح المتمثل فى « ان علينا بيانه » لا مساغ للقول بأن الكلمات القرآنية الجذرية ، التى لا يمكن الوصول الى مفاهيم القرآن ومعانيها الحقيقية واحكامه ومطالبه المرادة ، بدونها ، بقيت قرونا طويلا غير مفهومة ، منطوية على معانيها ، ولا يعنى هذا الاعتقاد الا نقضا لآية الكريمة السالفة الذكر ، فى مفهومها ومعناها ومقتضاها .

(١) « ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء » فى اللغة الفارسية ،

الامة المسلمة لم تقع فريسة الجهالة المطبقة والضلالة الشاملة فى اى دور من ادوارها :

ان هذا الاسلوب من البحث وهذا المنهج من التفكير ،
قد يجعلان الانسان يفهم — منطقيا — انه قد اتى على هذه الامة
المسلمة عهد طويل بقيت فيه جاهلة لمصطلحات القرآن الاساسية
ومعانيها ومدلولاتها الحقيقية ، التى تتوقف عليها صحة تفكيرها
وصحة عملها ، الامر الذى يرمى الامة بالجهل الصريح والاهمال
الهائل بل وبالضلال المبين ايضا ، على حين ان الكتاب والسنة
ودواوين الاحاديث بمجموعها تدل دلالة مبدئية على ان هذه
الامة — بالعكس من الامم الاخرى السابقة — سوف لا تمنى
بالضلال المطبق الشامل فى اى عهد من عهودها ، قد صرح بذلك
كبار الائمة وجهابذة المحدثين . . وقد جاء فى حديث « لا تجتمع
امتى على ضلالة » يقول المحدث الاندلسى المعروف — وأحد كبار
نقاد الحديث — العلامة ابو محمد على بن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ)
فى كتابه « الاحكام فى اصول الاحكام » :

« قالوا . (المحدثون .) فصح انه لا تجتمع امة مجمدا . (ص)
على غير الحق ابدا لانه عليه السلام قد انذر انه لا يزال منهم .

قائم بالحق ابدا ، وقد روى انه عليه السلام قال : « لا تجتمع
امتى على ضلالة » وهذا وان لم يصح لفظه ولا سنده (١) .
فمعناه صحيح بالخبرين المذكورين آنفا « (٢) . « اشارة الى الخبرين
الذين ساقتهما فيما قبل هذه السطور ، مرويا أحدهما عن ثوبان ،
وثانيهما عن معاوية رضى الله عنهما ، وهما : « لا تزال طائفة
من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتى امر
الله وهم كذلك » و « لا تزال طائفة من امتى قائمة بأمر الله
لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتى امر الله وهم
ظاهرون على الناس » وفى رواية : « وهم على ذلك » .

ويقول العلامة الحافظ ابو عبد الله شمس الدين ابن قيم
الجوزية (م ٨٩١ هـ) : « فان الأمة - والله الحمد - لم تجتمع
على ترك العمل بسنة واحدة ، الا سنة ظاهرة النسخ ، معلوم
للأمة ناسخها وحينئذ يتعين العمل بالناسخ دون المنسوخ » (٣) .

(١) هذا ما يراه العلامة ابن حزم ، أما المحدث الشهير والناقد
الكبير العلامة السخاوى ، فيقول : « وبالجملة فهو حديث مشهور
المتن ذو اسانيد كثيرة وشواهد متعددة ، (انظر كتابه « المقاصد
الحسنة » فصل اللام الف) .

(٢) « الأحكام فى اصول الأحكام » ج ٤ ، ١٣١ ، الطبعة
الأولى ، طبع مطبعة السعادة بمصر .

(٣) « اعلام الموقعين » ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

ويقول الحافظ ابن كثير — وهو يفسر قوله تعالى :
« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين » الخ :
« فانه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ ،
تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم ، وقد وردت أحاديث كثيرة في
ذلك » (١) .

ويقول شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عبد الحلیم بن
تيمية رحمة الله عليه (م ٧٢٨ هـ) خلال البحث في
« الاجماع » :

« واما اجماع الأمة فهو حق ، لا تجتمع الأمة — والحمد لله
— على ضلالة كما وصفها الله بذلك في الكتاب والسنة ، فقال
تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله » وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل
معروف وينهون عن كل منكر ، كما وصف نبيهم بذلك في قوله :
« الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر » وبذلك وصف المؤمنين في قوله :
« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف

(١) تفسير ابن كثير . ج ٢ ص ٣٩٣ ، طبع « دار الأندلس »

وينهون عن المنكر « فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك ، ولم تنه عن المنكر فيه ، وقال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . ويكون الرسول عليكم شهيدا » (١) .

شهادة العقل السليم :

ولا يمكن للعقل السليم أن يؤمن بأن هذه الأمة - التي أنجبت عددا هائلا من عباقرة العلماء ونوابغ المدونين للعلوم والفنون وعماليق في الذكاء والفكر ، لا سيما في القرون التي تلت عهد الرسالة وعصر نزول القرآن - عاشت في جهل متصل بتلك الحقائق الأساسية التي هي مفتاح فهم القرآن ومحور الدعوة الى الخير . . . والأستاذ المودودي نفسه يرفض أن يسلم أن علماء

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ج ١٩ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

واقرا للتفصيل والاطلاع على الدلائل الشرعية والعقلية فيما يتصل بصيانة الدين ، البحث القيم للعلامة الامام ابي اسحاق الشاطبي (المتوفى ٧٩٠ هـ) بعنوان « المسألة الثانية عشرة » في الجزء الثاني من كتابه العظيم « الموافقات في اصول الشريعة » الذي استهله بما يلي : « ان هذه الشريعة المباركة معصومة كما ان صاحبها صلى الله عليه وسلم معصوم ، وكما كانت امته فيما اجمعت عليه معصومة » ج ٢ ص ٥٨ الى ٦١ ، ويجدر بالدراسة ما قاله المؤلف بشأن صيانة الدين من ناحية الواقع العملي والتاريخي .

الأمّة بأجمعهم قد لخطأوا فى فهم نص من نصوص القرآن
أو الحديث ، وما تبينوا الخطأ الى مدة منزيدة ، يقول الأستاذ
الفاضل خلال البحث فى حديث « الأئمة من قريش » :

« هل يجدر بأن يسلم أن علماء الأمة بأسرهم قد أخطأوا.
فى فهم نص من النصوص وأنهم ظلوا رهان هذا الخطأ
قرونا ؟ » (١) .

على حين ان حديث « الأئمة من قريش » لا يتصل بالعقائد ،
ولا بضروريات الدين ولا بأوليّاته وقطعيّاته ، أما تلك
المصطلحات القرآنية الأربعة ، فانها قطب تدور حوله رحى الدين
وهى مناط الفكر والعمل فى هذه الأمة ، وشتان بينهما .

وقد احتج الأستاذ فى ضوء هذا المبدأ — الذى يقرره
العقل السليم والمنطق المستقيم ، ويستوجب الاعتراف والتسليم —
على القاديانية بكلمة « خاتم النبيين » التى بقيت الأمة المسلمة
عبر عصورها لا تفهم منها الا معنى واحدا ، ليس الا ، وقد
سرد فى هذا الصدد أقوال أئمة الأمة فى كل عهد من عهودها .

(١) تفهيمات (بالأردية) الجزء الثالث . ص ١٧٦ . توزيع
المكتبة المركزية للجماعة الإسلامية . دهلى — الهند .

تحليل وتعليق بقلم العالم المصرى والمرشد العام « للاخوان

المسلمين » : الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى (١)

يقول المرحوم الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى — الذى عين
مرشدا عاما للاخوان المسلمين بعد الامام الشهيد حسن البنا ،
ياتفاق أعضاء الجماعة ، وقد اتفقت كلمتهم على غزارة علمه وصلاحه
واخلاصه وفهمه الدينى ، وعزيمته واستقامته — معلقا على
ما اسلفت من كلمة الأستاذ المودودى فى كتابه « المصطلحات
الأربعة فى القرآن » فى كتابه « دعاة لا قضاة » الذى صدر حديثا
فى القاهرة :

« ان هذا التقرير لا يتفق مع الواقع ، ذلك أنه أيا كانت
المعانى التى كانت شائعة فى الجاهلية لتلك الكلمات ، فان القرآن
الكريم قد جاء محددًا ما يقصده من كل منها ، معرفًا المفهوم المعنى
من كل لفظة من الفاظها ، مبينًا ذلك غاية البيان ، مجليا المعنى
المراد بما لا يدع مجالًا للبس أو غموض . وهذا البيان القرآنى
قد أغنى عن الرجوع الى أصل تلك الكلمات فى اللغة وما كان
لها من معان قبل نزوله ، ولا يستريب مسلم أن بيان القرآن
الكريم هو الأحكم والأوضح والأشمل والأجل ، بل هو الذى
يتعين الاخذ به والتسليم بمقتضاه . وافق ذلك ما كان قبل نزوله

(١) توفى رحمه الله سنة ١٣٩٣ هـ

أم لا « (١) .

ثم يضيف قائلاً — بعد ما استشهد بالآيات التي استخدمت فيها هاتى الكلمات :

« أصبح — فى الواقع — أنه لما كان العرب قبائل شتى متفرقة ومختلفة ، ولكل منها لهجتها ، لا تجمعها رئاسة أو ثقافة أو معتقدات موحدة ، وكانوا أمة أمية ، ندر فيهم من الم بالقراءة وبالكتابة ، يكسوهم الجهل والانحطاط ، ليس لهم كتاب أو احاطة بعلم أو فن . . . لما كانوا كذلك كان مفهوم كلمات « الاله » و « الرب » و « العبادة » و « الدين » شائعا بينهم ، معروفا لدى كل امرئ منهم على حد سواء وعلى صفة معينة محددة . . . فلما نزل كتاب الله بالذكر المحفوظ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مشتملا على البيان الجلى والايضاح الشامل ، يتعبد الناس بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، ويجهرون به فى صلوات تقام جماعة فى المساجد وغيرها ، ضاعت تلك المعانى واندثرت ، ولم تعد شائعة بين الناس بمثل ما كانت شائعة بينهم فى الجاهلية . أصبح ذلك وكتاب الله محفوظ بين المسلمين ولو قرأ ايهم القاتحة أو قل هو الله أحد ، أو المعوذتين ، أو سمعها ، لاطلع وعرف وأبصر ما لم يكن يعرف الجاهلى

(١) « دعاة لا قضاة » ص ١٩ — ٢٠

عنه شيئاً « (١) .

« اما واذ جاء القول : (ان الذين ولدوا في المجتمع الاسلامي ونشأوا فيه لم يكن قد بقى لهم من معاني كلمات « الاله » و « الرب » و « العبادة » و « الدين » ما كان شائعا في المجتمع الجاهل قبل نزول القرآن « بغير برهان يقوم حجة على صدقه وصحته — فانه يكون مجرد قول لا حجة ، ولا يجوز اتباعه ولا يصح أن تبني عليه أحكام ، وما سبق أن اجتزأناه من كتاب الله من آيات ، شامل على معاني الالهية والربوبية ، والمفسرون ما اقتصروا قط على تفسير كلمة « الرب » بمعنى دون سائر المعاني التي تشملها ، وانما هم فسروا الكلمة في كل موضع على المعنى الذي يدل عليه السياق « (٢) .

واعقب المؤلف بكثير من الآيات القرآنية تجلى لكلمة

(١) نفس المصدر ، ص : ٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص : ٢٥ .

والنظرة على كتب التفسير والمعاجم ودواوين اللغة التي وضعت في أدوار مختلفة ، وعلى مؤلفات رجال العلم والبحث ومواعظ رجال الإصلاح والدعوة والعلماء الربانيين وكلماتهم وما دار في مجلسهم من حديث وحوار — تلك التي قيّدت الى حد كبير في كلماتها الأصيلة — تدل دلالة واضحة على أن تلك الكلمات قد فهمت على حقيقتها وعرضت على صحة معانيها عبر اليهود ، الا أن القوم لم يقتصروا على معنى واحد ولم يحددوها في إطاره كما فعل بعض المتأخرين .

« الرب » معانيها القرآنية المختلفة كما سرد عددا كبيرا من الآيات يلقى الضوء القوي على كلمتي « العبادة » و « الدين » ثم يقول بعد ما سرد قول الأستاذ المودودي الذي جاء فيه :

« لما نزل القرآن في العرب وعرض على الناطقين بالضاد ؛ كان حينئذ يعرف كل امرئ منهم ما معنى « الاله » وما المراد بـ « الرب » لأن كلمتي الاله والرب كانتا مستعملتين في كلامهم منذ ذى قبل ، وكانوا يحيطون علما بجميع المعاني التي تطلقان عليها ، ومن ثم اذا قيل لهم : لا اله الا الله ولا رب سواه ولا شريك له في الوهيته وربوبيته ، ادركوا مادعوا اليه تماما ، وتبين لهم من غير ما لبس ولا ابهام أى شىء هو الذى قد نفاه القائل ، ومنع غير الله أن يوصف به ، واى شىء قد خصه واخلصه لله تعالى » :

« فنقول :- بعون الله - : انه ان كان المقصود بهذا القول القطع بأن كل فرد ممن كان بنجد والحجاز وغيرهما وقت بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام على وجه التحديد والتعيين ، قد أدرك بغير ما لبس ولا ابهام ما دعى اليه ، وكان على علم كامل شامل بمعنى كلمتي « الاله » و « الرب » وحقيقة التوحيد ، وبالجملة : المفهوم الكامل الشامل بشهادة « لا اله الا الله » ان كان هذا هو المقصود فانه يكون قولنا فى حاجة لاقامة البرهان على

صحته ولا يكفى للتدليل على صحة هذه الدعوى الادعاء بشيوع
معانى كلمتى « الاله » و « الرب » بين العرب الناطقين بالضاد .
اولا : لأن الشيوع مهما بلغ واشتد ، معناه معرفة الكثرة
الغالبة بالأمر ، ولا يرقى الى حد القطع والتيقن من حقيقة علم
كل فرد على وجه التحديد والتعيين ، فمن ذا الذى احصاهم عددا ،
وتأكد من حقيقة امر كل منهم فردا فردا ، ليجزم باستحالة
ان يكون بينهم من اخطأ الفهم أو لم يصله العلم . . ؟

ثانيا : ان الذين كانوا بنجد والحجاز وغيرهما . لم يكونوا
كلهم من العرب الخالص العالمين باللغة العربية كأهلها ، بل كان
فيهم بيقين كثير من المستعربين والأرقاء المستجلبين من نواح شتى
وأجناس مختلفة ، وكان فيهم أيضا الأحرار الأجانب الأعجميو
اللسان ، فلا يصدق فى حقهم القول بالفهم كفهم الناطق بالضاد ،
ولقد حفظ لنا التاريخ أسماء كثيرين من صحابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من فارسيين وروميين وأحباش ، وأشار القرآن
الكريم الى وجود هؤلاء الأجانب : « لسان الذى يلحدون اليه
اعجمى وهذا لسان عربى مبين » (١) .

التصوير القائم للعالم الاسلامى والتاريخ الاسلامى :

وحيثما يقول الأستاذ المودودى فى صراحة ودون تحفظ :

(١) نفس المصدر ، ص : ٣٠ .

« ولكنه في القرون التي تلت ذلك العصر الزاهر جعلت -
تتبدل المعانى الأصلية الصحيحة لجميع تلك الكلمات ، تلك المعانى
التي كانت شائعة بين القوم عصر نزول القرآن » و « أنه قد خفى
على الناس معظم تعاليم القرآن ، بل قد غابت عنهم روحه السامية
وفكرته المركزية لجرد ما غشى هذه المصطلحات الأربعة الأساسية
من حجب الجهل » .

فطبعاً يبدو له تاريخ هذه الأمة الماضي كله سلسلة متصلة
الحلقات من الجهل والانحطاط ، وتبدو له القرون الوسطى
الإسلامية - وقد اعترف بمآثر عدد من المجددين « الجانبيين »
ظهروا خلال هذه الفترة - عقيمة مجذبة ، نعم . . قد تلمح - في
هذا الظلام المخيم على العالم الإسلامي - بارقة محاولات الإصلاح
والتجديد في ناحية من نواحي العالم الإسلامي « كلما أضاء لهم
مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » .

ان هذا الأسلوب من التفكير يجعله - منطقياً وطبيعياً -
يصور العالم الإسلامي فيما بعد عهد الصحابة والتابعين (١) تصويراً
يشكك الشباب المسلم المثقف ، الذكي الرقيق الشعور - الذي لم
تتنس له فرصة لدراسة تاريخ الإسلام العلمى والفكرى .

(١) على أن بعض كتاباته تشف عن أن عهد الصحابة والتابعين
أيضاً لم يكن مثالياً بالتمام

والاصلاحي والتجديدي دراسة عميقة واسعة — فى خلود الرسالة
الاسلامية ، وأبدية تعاليم الاسلام ، وصلاحية الاسلام الانتاجية ،
وقدرته على صنع « الرجال » وتربية العباقرة والأبطال ، وأن
شجرة الاسلام لا تعرف الذوى والذبول ، وأنها دائمة الحياة
والشباب ، والاخضرار والاثمار ، تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ،
وأن خلية الاسلام تعسل فى كل حين وآن ، وفى كل زمان ومكان . .
فتتزعزع ثقته بمصير الاسلام ويقع — الى حد ما — فريسة
« مركب النقص » واليأس ، ويخيل اليه أن تربة الاسلام لا تصلح
للانبات مهما هطلت عليها الأمطار ، وصب « الفلاحون » عليها
جهدهم وسقوها بعرق جبينهم آتاء الليل والنهار .

قد يشعر القارئ بشيء من القسوة فى هذا الحكم ، ويقول
لقد بنى كل المصلحين والمسلمين فى الاسلام عملهم الاصلاحى على
نقد المجتمع الاسلامى وعدم ارتياحهم الى الوضع السائد ، كذلك
الغزالى فى كتابه « الاحياء » وابن تيمية فى كتابه « الرد على
البكرى » و « الرد على الاخنائى » والشيخ عبد القادر الجبلى
فى خطبه ومواعظه المجلجلة ، والشيخ عبد الرحيم الدهلوى ،
وحفيده الشيخ اسماعيل الشهيد فى كتاباتها ، ولكن لا يعزبن
عن البال أن نقدهم كان موجها الى عصرهم وبيئتهم فحسب ،

لم يكن شاملا للتاريخ الاسلامى ، ولا للامة الاسلامية فى جميع
أدوارها وأمصارها وشتان ما بين الأسلوبين .

وكل من صدر من قلمه ما يشعر بجذب التاريخ الاسلامى ،
وعقم الأمة المحمدية ، وشتيوع الظلام ، وانتشار الانحراف
والضلال فى عالم الاسلام ، يحمل كلامه على التسرع فى الحكم ،
ونقص الاطلاع على تاريخ الإصلاح والتجديد ، ولا يستثنى المؤلف
نفسه عن التورط فى هذا الخطأ فى كتاباته المبكرة التى صدرت
عنه قبل النضج الفكرى ، والدراسة الاختصاصية الواسعة (١) ،
وقد تفتن لهذا فى كتابه الشهير « ماذا خسر العالم بانحطاط
المسلمين » وقد جاء تحت عنوان « انكار الدين على المسلمين
وأهلبته بهم » :

« ولا يعزبن عن البال أن الدين لم يزل طول هذه المدة
حيا محفوظا من التحريف والتبديل ، مهيبا للمسلمين ، ناعيا عليهم
انحرافهم عن طريقه ، ولم يزل مناره عاليا ، وضوؤه مثرفا
» يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من
الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ولم يزل

(١) كما جاء فى كتابه الشهير الواسع الانتشار فى شبه
القارة الهندية « سيرة سيد أحمد شهيد » بعنوان عصر السيد الامام
(٥٥ — ٥٨) وليعلم أن هذا الكتاب هو باكورة مؤلفاته ، قد بدأ
بتأليفه وكتب هذا الفصل ، وهو فى الثانية والعشرين من عمره .

الكتاب والسنة يبعثان فى نفوس القراء ثورة على الشرك والبدع ،
وعلى الجهالة والضلالة ، وثورة على أخلاق الجاهلية وعوائدها ،
وثورة على ترف المترفين واستبداد الملوك ، ولم يزل ينهض
بتأثيرهما فى كل دور من أدوار التاريخ الإسلامى ، وفى كل ناحية
من نواحي العالم الإسلامى ، رجال يقومون فى هذه الأمة على
طريقة الأنبياء ، يجددون لها أمر دينها الخ(١) .

وقال تحت عنوان « نتاج القرون المنحطة » :

« وظلت خلية الإسلام تعسل فى أدوار الانحطاط أيضا ،
ويظهر من الملوك والفتاحين أفراد هم أنموذج الصحابة والسلف
الصالح فى سيرتهم وأخلاقهم ، فى دينهم وتقواهم ، وينهض فى
العالم الإسلامى رجال يتجمل التاريخ بذكرهم .
وكان المسلمون رغم انحرافهم عن سيرتهم الأولى وطريقتهم
المثالى أقرب الى طريق الأنبياء ، وأطوع لله من الأمم الجاهلية
المعاصرة لهم .

وكان وجودهم ودولتهم أكبر عائق للجاهلية فى انتشارها
وازدهارها ، وكانوا رغم نقائصهم أكبر قوة فى العالم تهابها

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة العاشرة ،
دار الانصار ، ص ١٥١ ، ١٥٢

الدول وتحسب لها كل حساب « (١) .

ولازالة هذا الانطباع المستعجل الف كتابه الكبير «رجال الفكر والدعوة في الاسلام» (٢) الذي استعرض فيه الجهود الاصلاحية التجديدية في تاريخ الاسلام الدينى والفكرى والاجتماعى ، وذكر كبار قادتها وزعمائها ، من مختلف الطبقات الاسلامية ، والعصور التاريخية ، وأثبت في مقدمته أن حركة الاصلاح والتجديد تكاد تكون متصلة الحلقات لا تتخللها فترة طويلة .

وعندما يتحدث الأستاذ في مثل هذا الموضوع ، يأخذه الحماس فيرخى العنان لقلمه ، فيصول ويجول ، ويأخذ أسلوبه الكتابى طابعا آخر ، عاطفيا خطابيا ، غير الطابع العلمى الهادىء المعهود المتبع لديه ، ولندعه يؤكد صدق ما نقول :

« ان روح التحقيق والاجتهاد . وحرية الفكر والرأى ، وحرية نشدان الحق ، التى خلقها النبى صلى الله عليه وسلم فى أتباعه ، ظلت تعمل عملها بكل قوة زهاء ثلاثة قرون ، ثم بدأ استبداد الأمراء والحكام ، والعلماء والمشايخ يصيب منها : ثم انتزع من العقول المفكرة حقها فى التفكير ، ومن العيون المبصرة

(١) أيضا من ١٥٧

(٢) الكتاب فى ثلاثة أجزاء فى « اردو » ظهر لها جزءان بالعربية تتبعها أجزاء أخرى .

حقها فى البصارة ، ومن الألسن الناطقة حقها فى النطق ، وصار المسلمون يدرّبون فعلا على الرق والعبودية فى كل مكان : فى مجالس الأمراء ، وفى المدارس وفى الزوايا ، وسيطرت عليهم عبودية العقل والقلب ، وعبودية الجسم والروح ، وأنشأ فيهم رجال الحكيم نفسية العبودية بحملهم على الركوع والسجود لهم وجرعهم رجال المدارس كأسا مسمومة من تقديس «الأكابر» و «العظماء» مع تقديس الله ، ومسح رجال الزوايا طريقته السنة للبيعة ووضعوا فى أعناقهم غلا من العبودية «المتدسة» لم يخترع الانسان لانسان آخر من ذى قبل غلا اشد وأثقل منه

وإذا بدأ الناس يتطامنون برؤوسهم الى الأرض لغير الله ، وإذا جعلوا يضعون احدى يديهم فوق الأخرى امام غير الله كالصلاة ، وإذا أصبح النظر الى الانسان يعتبر اساءة أدب ، وإذا بدأت أيدي البشر وأرجله تقبل ، وإذا أصبح الانسان الها للانسان ومالكه ورازقه ، وإذا عاد الانسان مستبدا «بالأمر» و «النهي» ، واعتبر غنيا عن الاستناد الى الكتاب والسنة ، واعتبر معصوما من الخطايا وبريئا من العيب والنقيصة ، وإذا أضحى الأمر والرأى البشرى يعد واجب الامتثال والاطاعة كأمر الله تماما - فى الواقع العملي وان لم يكن فى الواقع الاعتقادى - فتأكد أن ذلك يعنى التولى عن الدعوة المتمثلة فى «الانعبد الا الله ولا تشرك

به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » ولا يعود بعد ذلك أمل في تقدم علمي وأخلاقي وروحاني ، بل يؤدي ذلك حتماً الى الزوال والانحطاط « (١) .

وكذلك يقول في صريح العبارة في كتابه « التجديد واحياء الدين » - وهو يستعرض محاولات الاصلاح والتجديد في تاريخ الاسلام وماآثر أولئك الأعلام الذين حملوا لواءهما والخدمات المخلصة والجهود المشكورة التي قاموا بها في هذا السبيل - :

« نظرة عجلية على التاريخ تدل على أنه لم يظهر مجدد - في معنى الكلمة - بعد ، وكاد عمر بن عبد العزيز أن يعتلى هذا المنصب ، ولكنه لم يتمكن منه ، وكل من ظهر من بعده من رجال التجديد ، اقتصروا على العمل في ناحية أو نواح خاصة ، ولا يزال منصب المجدد الكامل شاغراً » (٢) .

تبشير الأحاديث الصحيحة باستمرار ظهور القائمين بالحق .

وبتواصل الجهود الرامية الى اعلاء الحق ورفع مناره عالياً :

ان هذا الأسلوب من التفكير ، وهذه النتيجة النابعة من

(١) « تفهيمات » ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٨ (في الأردية) توزيع المكتبة المركزية للجماعة الاسلامية بالهند .
(٢) « التجديد واحياء الدين » (باللغة الأردية) ص ٣١ ، توزيع مكتبة الجماعة الاسلامية ، دار الاسلام « بتان كوت » بنجاب .

دراسة التاريخ يتعارضان مع مفهوم تلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تنبئ بأن الفرصة التي أكرمت بها هذه الأمة للعمل في هذه الدنيا ، سوف لا تخلو لحظة من لحاتها كليا من القائمين بالحق ، والمجاهدين في سبيله :

جاء في صحيح البخارى ومسلم :

« لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » (١) .

وجاء في جامع الترمذى :

« لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » (٢) .

وقد جاء في رواية ابن ماجه أوضح وأصرح :

« لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر الله ، لا يضرها من خالفها » (٣) .

وجاء في رواية أخرى في جامع الترمذى :

« مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » (٤) .

وفى رواية مستدرک الحاكم :

(١) صحيح البخارى ، كتاب المناقب

(٢) جامع الترمذى ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الشام .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن .

(٤) جامع الترمذى .

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم

الساعة » (١) .

اتصال محاولات الإصلاح والتجديد فى التاريخ الإسلامى :

ثم ان دراسة التاريخ الأمانة الواسعة العميقة - التى
للم تقتصر على كتب التاريخ « التقليدى » الاصطلاحى ، وعلى
المؤلفات والمطبوعات المتداولة - تنفى هذه الفكرة وترفضها ،
وتؤكد أن محاولات الإصلاح والتجديد ، ومحاربة الجاهلية والظلام ،
ومقاومة الحركات الهدامة والتيار المنحرف والفتن العمياء ،
والوقوف فى وجه الهجمات الخارجية والداخلية على الإسلام ،
وتحدى القوى المتآمرة ضد الإسلام ، ومجابهة الفوابة العقيدية
والفكرية والشذوذ العلمى والأخلاقى ، وعملية ازاحة اللثام
عن وجه الإسلام الحقيقى ونفض الغبار عن لجينه الصافى ،
وعرض تعاليم الإسلام فى ثوب مشيب ولباس جديد كاملة غير
منقوصة خالصة غير مخدوشة .. متصلة ومستمرة فى تاريخ
الإسلام دون انقطاع أو تخلل فترة قصيرة . فاذا نهض هناك دارس
لتاريخ الإسلام والمسلمين ، صبور على المطالعة ، واسع الأفق ،
دقيق الملاحظة ، بعيد الهمة ، تخصص لهذا الموضوع ، وادعى -
ولديه الشعور الكافى بالمسئولية - بأن حلقات هذه السلسلة

(١) مستدرك الحاكم .

الذهبية كلها متصلة بعضها ببعض ، ولم تنقطع عنها حلقة ، فلن يجوز أن نرميه بالتطرف في احسان الظن ، وبمحاولة تخدير الامة فكريا ، لان الذنب ليس على التاريخ ، وانما الذنب على منهج التأليف وكتابة التاريخ(١) ، ولأن عدم وجود الوثائق التاريخية منسقة في موضوع ، لا يدل من قريب أو بعيد على عدم وجود الوقائع والمواد والشهادات والدلائل التاريخية أصلا ، وتلك هي تجربة متكررة مطردة في التاريخ العلمي يمر بها مرة بعد أخرى كل من يعنى بدراسة التاريخ ، أو يتخصص في هذا الموضوع ، أو ينشغل به ، واذا صرفنا النظر عن التاريخ ومنطقه ولغته وأسلوبه ، فان كلمة شيخ الاسلام ابن تيمية الحكيمه « عدم العلم لا يستلزم عدم الوجود » تعبر عن حقيقة علمية وتسلط الضوء على الطريق ، فان كان هناك عالم لم يتسن له الاطلاع على اتصال محاولات الاصلاح والتجديد ، ولم تدعه أوضاعه وملابساته ومسئوليته الخاصة ، وتكوينه العقلي والنفسي أن يدرس هذا الموضوع دراسة اختصاص ، فان ذلك لا يعنى ان هذه المحاولات لم تتحقق أصلا .

(١) وكتاب «رجال الفكر والدعوة في الاسلام» (الذي صدرت منه ثلاثة أجزاء في اردو ، وجزآن بالعربية) لكاتب هذه السطور محاولة متواضعة في هذا الاتجاه وستتضح الحقيقة جلية واضحة عندما تتم هذه السلسلة باذن الله .

الفعل النفسى لأسلوب التفكير السلبى :
والتشكيك فى صلاحية الأمة المسلمة للانجاب والانتاج

وقدرة شجرة الاسلام الطيبة — التى هى مصداق « تؤتى أكلها كل حين باذن ربها » على الاثمار ، وغض البصر عن كل ما تحقق عبر تاريخ الاسلام والمسلمين الطويل من مآثر وجهود ومحاولات مستمرة فى مجال الاصلاح والتجديد وتغيير الأحوال ، واعادة الأمور الى نصابها ، او التقليل من شأنه ، والنظر الى التاريخ الاسلامى بالمنظار الأسود . . ان هذا الأسلوب (Technique) أو الخطة « الاستراتيجية » قد استخدمها أولئك الذين أبوا الا ان يبنوا بناءهم على انقاض التاريخ الاسلامى والفكر الاسلامى ، والذين اعتقدوا ان الناس لا يقدرّون ما يقومون به من « تحقيق واجتهاد » ولا يتهيأ الجو لحركتهم ودعوتهم ما لم يثيروا الشبهات فى الأذهان حول هذا التراث التاريخى الهائل ، وما لم يرسخوا فيها ضآلته وتفاهته وعدم غنائه . . ويمكن ان نضرب فى ذلك مثلا بمؤسسى فرق وحركات عديدة ، الا اننا لا نؤمن أبدا بأن ما صدر من قلم الأستاذ المودودى فى هذا الموضوع كان استخداما لهذا الأسلوب أو الخطة الاستراتيجية ، لكن مهما كان ذلك عن خلوص نية وحسن طوية ، فان نتيجته السلبية الطبيعية لابد ان تتحقق ، وذلك ما يقتضيه المنطق السليم وطبائع الأشياء وقانون الأسباب والمسببات فى الكون .

ومن ثم فإن الذين يقتصرون على دراسة كتابات الأستاذ المودودي ولم يفهموا الاسلام والدعوة الاسلامية وتعاليم الاسلام والتاريخ الاسلامي ، الامن خلال كتاباته ومقالاته ومؤلفاته قد بلغ بهم اليأس من تاريخ الاسلام وماضى المسلمين ومآثرهم العملية والفكرية فيما بعد القرون الثلاثة الأولى ، حتى تضاعفت أمامهم الشخصيات الاسلامية العملاقة ، وقلت قيمة الجهود التي بذلت في سبيل النهوض بالاسلام والمسلمين وأدالة هذا الدين من الجاهلية في الماضي ، وقيمة المآثر العلمية التي تحلى بها تاريخ الاسلام الفكري والعلمي وازدانت بها المكتبة العالية ، وآمن كثير منهم — وصرح به بعضهم — ان فكرة الاسلام المنسقة او التصور الاسلامي الكامل لم يعرض الا في هذا الزمن الأخير عن طريق دعوة « الجماعة الاسلامية » في شبه القارة الهندية وبقلم مؤسسها في الثلاثينات من القرن العشرين .

الاقتصار على حاكمية « الاله » و « الرب » :

ومحور المصطلحات القرآنية الأربعة الأساسية عند الأستاذ المودودي وفكرتها المركزية الأساسية هي « حاكمية الاله والرب » أما « الدين » و « العبادة » فهما — فيما يراه — طريقان يؤديان اليها ، يقول — وهو يشرح مصطلح « الاله » :
« فخلاصة القول أن أصل الألوهية وجوهرها هو السلطة

سواء اكان يعتقدما الناس من حيث ان حكمها على هذا العالم حكم مهيم على قوانين الطبيعة ، او من حيث ان الانسان فى حياته الدنيا مطيع لامرها وتابع لارشادها ، وان امرها فى حد ذاته واجب الطاعة والاذعان ، وهذا هو تصور السلطة الذى يجعله القرآن الكريم اساسا لما يأتى به من البراهين والحجج على انكار الوهية غير الله واثبات الالهية لله تعالى وحده «(١) .

ويقول بعد ما يقدم آيات قرآنية كثيرة كدليل على دعواه :
« ففى جميع هذه الآيات من اولها الى آخرها لاتجد الا فكرة رئيسية واحدة ، الا وهى ان كلا من الالهية والسلطة تستلزم الأخرى ، وانه لا فرق بينهما من حيث المعنى والروح ، فالذى لا سلطة له ، لا يمكن ان يكون الها ، ولا ينبغى ان يتخذ الها ، وأما من يملك السلطة فهو الذى يجوز ان يكون الها ، وهو وحده ينبغى ان يتخذ الها ، ذلك بأن جميع حاجات المرء التى تتعلق بالاله او التى يضطر المرء لاجلها ان يتخذ احدا الها له ، لا يمكن قضاء شىء منها من دون وجود السلطة . ولذلك لا معنى لالهية من لا سلطة له ، فان ذلك ايضا مخالف للحقيقة ، ومن النفخ فى الرماد ان يرجع اليه المرء ويرجو منه شيئا «(٢) .

(١) « المصطلحات الأربعة فى القرآن » ص ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨ - ٢٩ .

ويقول فى سياق الشرح « للرب » و « الربوبية » :
« فبقراءة هذه الآيات بالترتيب الذى سردناها به ، يتبين
للقارئ أن القرآن يجعل (الربوبية) مترادفة مع الحاكمية والملكية
(Sovereignty) « (١) .

انه يصرح بأن حقيقة الرب هى السلطة العليا ، والعبادة
والعبودية عبارة عن طاعة هذه السلطة وامثال أمرها والاذعان
التام لها ، والنبي هو النائب والممثل عن هذا السلطان الأعلى ،
ويجب أن يطيعه الناس بوصفه هذا وحده ، والبشر كرعية مالك
الملك ، الذين يجب عليهم أن يخلصوا له العبادة والعبودية والخضوع
والاذعان . يقول فى صميم الأسلوب السياسى فى معرض التفسير
لوصية سيدنا عيسى — عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام — المتمثلة
فى هذه الآية « ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »
من سورة آل عمران :

« يظهر من هذا أن دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام كانت
تعتمد على ثلاثة أصول ، مثلها مثل دعوة الأنبياء طرا .
الأول : التسليم بأن الله وحده السلطة العليا التى يختار المرء
سبيل « العبدية » أمامها ، ويقوم على طاعتها كل النظام الاجتماعى
والاخلاقى .

(١) نفس المصدر ، ص ٩٣ .

الثانى : طاعة أحكام النبى بوصفه نائبا ممثلا عن هذا السلطان الأعلى .

الثالث : أن القانون الذى يضع حدود وقيود التحريم والتحليل هو قانون الله فحسب ، أما قوانين الآخرين المفروضة فرضا ، فباطلة مردودة .

فليس من فرق أذن — ولو قيد شعرة — بين مهمة ودعوة سيدنا عيسى وسيدنا موسى وسيدنا محمد وغيرهم من الأنبياء عليهم أجمعين السلام ، ويخطىء من يقر لكل واحد منهم بمهمة ودعوة مختلفة باختلاف شخصه ، ويفرق بينهم فى الغرض والنوع .

ان من يأمره مالك الملك بالذهاب الى رعيته لدعوتهم لا يمكن أن يكون الغرض من مجيئه شيئا آخر سوى منعهم من العصيان والتحرر والاستقلال المطلق وكفهم عن الشرك (يعنى أن يشركوا آخرين مع مالك الملك فى السلطة العليا بأى شكل من الأشكال) ودعوتهم الى الأذعان التام والعبودية الخالصة والطاعة والعبادة للمالك الأسمى « (١) » .

(١) « تفهيم القرآن » الجزء الأول (تعريب أحمد ادريس) ص : ٢١٧ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، توزيع : دار القلم — الكويت .

ويقرر فى معرض الحديث عن السلطة والحاكمية واتحادهما
أن اعتقاد امر كائن من دون الله واجب الاطاعة ، والشرك مع
الله ، شىء واحد لا فرق بينهما ، يقول :

« والحكم والسلطة لا يقبل شىء منهما التجزئة والتقسيم
البتة ، فالذى يعتقد أن امر كائن ما من دون الله مما يجب اطاعته
والاذعان له بغير سلطان من عند الله ، فانه يأتى من الشرك
بمثل ما يأتى به الذى يدعو غير الله ويسأله ، وكذلك الذى
يدعى أنه مالك الملك والمسيطر القاهر ، والحاكم المطلق بالمعنى
السياسية ، فان دعواه هذه كدعوى الألوهية ممن ينادى بالناس
« انى وليكم وكفيلكم وحاميكم وناصركم » ويريد بكل ذلك
المعنى الخارجة عن نطاق السنن الطبيعية ، ألم تر أنه بينما جاء
فى القرآن أن الله تعالى لا شريك له فى الخلق وتقدير الأشياء
وتدبير نظام العالم ، جاء معه أن الله له الحكم وله الملك ليس له
شريك فى الملك ، مما يدل دلالة واضحة على أن الألوهية تشتمل
على معانى الحكم والملك أيضا ، وانه مما يستلزمه توحيد الاله
لا يشرك بالله تعالى فى هذه المعانى كذلك « (١) .

(١) . المصطلحات الأربعة فى القرآن ، ص ٣١ - ٣٢ .

التصريحات الماثلة لدى سيد قطب :

وقد أعجب الكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ سيد قطب
الشهيد - وهو صديق المؤلف العزيز - أعجابا شديدا بكتاب
الأستاذ المودودى « المصطلحات الأربعة فى القرآن » ووافقه كل
الموافقة فى الآراء والأفكار التى يتضمنها ، وقد جعل «الحاكمية»
أخص خصائص الألوهية ، وكتاباتة تقلل من شناعة عبادة الأصنام
والأوثان وعبادة غير الله فى الجاهلية ، لأنه يعتبرها صورة
ساذجة بدائية للجاهلية الأولى . يقول فى كتابه الشهير « معالم فى
الطريق » :

« هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى
الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية . . . وهى الحاكمية . . .
انها تسند الحاكمية الى البشر ، فتجعل بعضهم لبعض أربابا ، لا فى
الصورة البدائية الساذجة التى عرفتها الجاهلية الأولى ، ولكن فى
صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم ، والشرائع والقوانين ،
والانظمة والأوضاع ، بمعزل عن منهج الله ، وفيما لم يأذن
به الله . . . » (١) .

(١) « معالم فى الطريق » ، ص : ٩ . طبع وتوزيع : دار دمشق .

انه يعبر عن الأخذ بالقوانين الموضوعية على يد البشر ،
والخضوع لحكم البشر ، وقبول التشريع غير الالهى، بـ «العبادة»،
يقول فى نفس الكتاب فيما بعد هذه السطور المذكورة أعلاه :

« فالناس فى كل نظام غير النظام الإسلامى يعبد بعضهم
بعضاً — فى صورة من الصور — وفى المنهج الإسلامى وحده يتحرر
الناس جميعاً من عبادة بعضهم لبعض ، بعبادة الله وحده ، والتلقى
من الله وحده ، والخضوع لله وحده » (١) .

ويقول وهو يتحدث عن العرب الذين خاطبهم القرآن مباشرة:
« كانوا يعرفون أن الألوهية تعنى الحاكمية العليا . وكانوا
يعرفون أن توحيد الألوهية وانفراد الله — سبحانه — بها ، معناه
نزع السلطان الذى يزاوله الكهان ومشيخة القبائل والأمراء
والحكام ، ورده كله الى الله . . » (٢) .

ويقول فى صراحة أكثر وعبارة أوضح :

« كانوا يعلمون ان « لاله الا الله » ثورة على السلطان
الأرضى الذى يغتصب أولى خصائص الألوهية ، وثورة على

(١) نفس المصدر . ص ٩ — ١٠ .

(٢) ص : ٢٨ .

الأوضاع التي تقوم على قاعدة من هذا الاغتصاب ، وخروج على السلطات التي تحكم بشريعة من عندها لم يأذن بها الله . . « (١) » .

ويتناول كلمة « لاله الا الله » بالشرح والايضاح ، فيقول :
« لاله الا الله — كما يدركها العربى العارف بمدلولات لفته — : لا حاكمية الا الله ، ولا شريعة الا من الله ، ولا سلطان لأحد على أحد ، لأن السلطان كله لله . « (٢) » .

ولا يفهم هو من « لاله الا الله » الا رد الحاكمية فى كل الامور الى الله وافراده بهذه الحاكمية . . يقول فى موضع من هذا الكتاب — وهو يوصى أصحاب الدعوة الاسلامية بأن يعرفوا أولئك الذين يدعون أنفسهم مسلمين أو تشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون ، بالاسلام الحقيقى — :

يجب أن يعلموهم أن الاسلام هو — أولا — اقرار عقيدة « لاله الا الله » بمدلولها الحقيقى ، وهو رد الحاكمية لله فى أمرهم كله ، وطرد المعتدين على سلطان الله بادعاء هذا الحق لأنفسهم « (٣) » .

-
- (١) ص ٢٨ .
(٢) نفس المصدر : ٣١ .
(٣) نفس المصدر ص : ٤٦ .

ويقول فى موضع آخر :

« ان اعلان ربوبية الله وحده للعالمين ، معناها : الثورة الشاملة على حاكمة البشر فى كل صورها وأشكالها وانظمتها وأوضاعها ، والتمرد الكامل على كل وضع فى أرجاء الأرض ، الحكم فيه للبشر فى صورة من الصور . . أو بتعبير آخر مرادف : الألوهية فيه للبشر فى صورة من الصور » (١) .

ومن يجعل « الحاكمة » أخص خصائص « الألوهية » وفكرتها المركزية ، فانه يعتبر — طبيعيا — التحاكم الى قانون من القوانين البشرية ، فى أى شأن من شؤون الحياة ، مخالفة للدين ، وإشراكا فى الحاكمة — الذى يرادف عند هؤلاء السادة الإشراف فى الألوهية أو الربوبية .

ويقول سيد قطب الشهيد — رحمه الله — فى كتابه « فى ظلال القرآن » بمناسبة الكلام على الآية « ذلك الدين القيم » من سورة يوسف :

« وهذا وحده هو الدين القيم ، فلا دين — اذن — لله ما لم تكن دينونة الناس لله وحده ، وما يكن الحكم لله وحده ، ولا عبادة لله اذا دان الناس لغير الله فى شأن واحد من شؤون

(١) المصدر السابق ص : ٨١ .

الحياة ، فتوحيد الألوهية يقتضى توحيد الربوبية ، والربوبية تتمثل فى أن يكون الحكم لله ، أو أن تكون العبادة لله ، فهما مترادفان أو متلازمان ، والعبادة التى يعتبر بها الناس مسلمين أو غير مسلمين ، هى الدينونة والخضوع والاتباع لحكم الله دون سواه » (١) .

ويستنتج من ذلك فى السطور الآتية قائلا :

« فهذا الاعتبار يعد من المعلوم من الدين بالضرورة ، من دان لغير الله ، وحكم فى أى أمر من أمور حياته غير الله فليس من المسلمين ، وليس فى هذا الدين ، ومن أفرد الله سبحانه بالحاكية ورفض الدينونة لغيره من خلائقه ، فهو من المسلمين وفى هذا الدين » (٢) .

ويقول فى عبارة صريحة لا تقبل تأويلا ولا تدع مجالا للتقاش — وهو يتحدث عن الهدف الأساسى الجذرى الذى استهدفته الدعوة النبوية على مدار التاريخ البشرى : —

« ولم يكن الناس — فيما عدا أفرادا معدودة فى فترات قصيرة — ينكرون مبدأ الألوهية ويجحدون وجود الله البتة ، إنما هم كانوا يخطئون معرفة حقيقة ربهم الحق ، أو يشركون مع

(١) (٢) « فى ظلال القرآن » الجزء ١٢ . ص ٢٠٠ .

الله آلهة أخرى . . . أما فى صورة الاعتقاد والعبادة ، وأما فى صورة الحاكمية والاتباع ، وكلاهما شرك كالأخر يخرج به الناس من دين الله « (١) .

تفنيد مغالاة والرد عليها :

يبدو أنه ظهرت فى مصر فئة تأثرت بهذه الكتابات وتطرفت فى التمسك بهذه الفكرة ، والتفسير العصرى للدين ، والعمل بمقتضاه ، بما اضطر المرحوم الأستاذ الهضيبى الى نقدها ، والحد من شدتها ، ووضع الأمور فى نصابها ، ويقول فى كتابه المشار إليه فى الصفحات الماضية — بعد ما سرد تفسير الأستاذ المودودى لفكرته « حاكمية الاله » :

وقد توهم البعض أن قائل تلك المقالة يرى استحالة أن يأذن الله تعالى للناس أن يضموا لأنفسهم بعض التنظيمات أو التشريعات التى تنظم جانباً من شؤون حياتهم (٢) » .

ثم يقول الأستاذ الهضيبى وهو يصرح باستبعاد أن يكون الأستاذ المودودى قد رأى هذا الرأى وفكر هذا التفكير :

« والحق أن الله عز وجل قد ترك لنا كثيراً من أمور

(١) « معالم فى الطريق » ص ٢١ .

(٢) « دعاء لا قضاة » ص : ٧٢ .

دنيانا ، ننظمها حسبما تهدينا اليه عقولنا فى اطار مقاصد عامة ،
وغايات حددها لنا سبحانه وتعالى وامرنا بتحقيقها ، وبشرط أن
لا نحل حراما أو نحرم حلالا ، ذلك إن الأفعال فى الشريعة إما
فرض أو حرام أو مباح .

والفرض : الذى فرضه الله علينا واجب لا يملك انسان
أن يقرر عدم وجوبه أو يقبل منه ، وفاعل ذلك بعد أن بلغه
الحق وقامت عليه الحجة ، جاحد للنص مكذب لربه تعالى ، فهو
كافر مشرك بلا جدال .

وما حرمه الله تعالى : حرام الى يوم القيامة لا يملك أحد
أن يحله وفاعل ذلك بعد بلوغ الحق اليه وقيام الحجة عليه ،
جاحد للنص ، مكذب لربه ، فهو كافر مشرك بلا جدال .

أما المباحات : فان للمسلمين أن يسنوا فيها من الأنظمة —
التي قد تتخذ شكل قرار أو لائحة أو قانون — ما تقتضيه الحاجة
تنفيذا لنصوص وردت بضرورة تحقيق مقاصد عامة ، ومن هذا
القبيل قوانين تنظيم الشورى التي أمر الله تعالى بها « وأمرهم
شورى بينهم » (١) و « شاورهم فى الأمر » (٢) وأيضا قوانين
تنظيم المرور فى الشوارع المعاملة وقوانين الوقاية الصحية ،

(١) سورة الشورى : ٣٨ . (٢) سورة آل عمران : ١٥٩

وقوانين مقاومة الآفات الزراعية وتنظيم استعمال مياه الري ،
وقوانين التعمير ، وقوانين تنظيم المهن المختلفة ، كالطب
والهندسة والصيدلة وتحديد الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن
يزاولها ، وقوانين تنظيم الإدارات والمصالح وتحديد اختصاصاتها
وسلطات كل منها ، وتنظيم الجيش وتحديد الشروط التي يجب
توافرها فيمن يلحق به وفي ضباطه ، وصف ضباطه ، وقوانين
شروط بناء المساكن بما يحقق سلامتها وتوافر الشروط الصحية
فيها ، والقوانين المتعلقة بالشروط اللازم توافرها في المصانع
المختلفة ، كل على حسب طبيعة العمل فيها ، وقوانين تنظيم
المجال العامة .. الخ .

ولنضرب مثلا بقوانين تنظيم المرور في الشوارع العامة ،
فان الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول
فيه : « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام »
والحديث الثابت عنه عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه :
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » قد فهمنا منهما وجوب
المحافظة على دمائنا وأبشارنا وأعراضنا ، وألا يسلم أحدنا الآخر
لما فيه هلاكه أو الأضرار به ، ووجدنا أننا لو تركنا أمر السير في
الطرق العامة بالمركبات والسيارات والدراجات وغيرها من
وسائل النقل من غير تنظيم وقواعد يلتزم بها الكل ، ونكفل سلامة

الأموال والإبدان ، فاننا نكون قد عرضنا دماء الناس وأبشارهم
وأموالهم للاهدار ، وأسلمناهم بذلك لما فيه هلاكهم والاضرار
المحقق بهم ..

ولا يجوز لأحد أن يزعم أن تشريعات تنظيم المرور فى هذه
الحالة من تشريع الله تعالى عز وجل ، انما هى من تشريعنا
واجتهادنا تنفيذا لمقصد عام أمرنا الله به ، وهى تشريعات وقوانين
تتبدل وتتغير حسبما تقتضيه الحاجة بتغير وسائل
المواصلات « (١) .

ثم يقول :

« وفى هذا كفاية لإبطال قول من زعم أن « التشريع صفة
من صفات الله عز وجل ، وأن من وضع تشريعا فقد انتزع لنفسه
احدى صفات الله عز وجل ، وجعل نفسه ندا لله تعالى خارجا
على سلطانه » (٢) .

ويلوح أن الأمر قد تجاوز حده وتفاسم شره ، وأصبح
الناس يعتبرون المسلمين الذين اتبعوا أى قانون بشرى من أى نوع
كان ، مارقين من الدين ، وأصبح هناك أناس ينادون بأن المسلمين
المعاصرين يعيشون فى جاهلية وكفر ، وأن عقائدهم باطلة لاتمت

(١) دعاة لا قضاة : ٧٣ — ٧٤ .

(٢) ص : ٧٤ من نفس المصدر .

الى العقيدة الاسلامية بصلة ما ، لانهم جاهلون لمعظم القوانين .
الالهية التي تنظم حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
وأن أكثريتهم أصبحت تعتقد أن أحكام الشريعة الالهية محصورة
فى نطاق العبادات . . . يقول الأستاذ الهضيبى مفندا لهذا الراى .
الخاطيء :

« اعتقاد عامة الناس أن لاولى الأمر حق اصدار القوانين
ووضع التنظيمات التي تنظم جوانب من حياتهم السياسية
والاقتصادية والاجتماعية ، بناء على نصوص من القرآن الكريم
والسنة الثريئة ، اعتقاد ليس فيه أيضا تشبهة الكفر والشرك بل
هو اعتقاد فى أصله حق » (١) .

هل الصلة بين العبد والرب هي

صلة الحاكم والمحكوم فحسب ؟ :

ونقف هنا وقفة قصيرة ونستعرض ما تدل عليه دراسة
كتاب الاستاذ المودودى « المصطلحات الأربعة فى القرآن »
والشئ الكثير من كتاباته ، من أن الصلة بين الله والانسان ،
والعبد والرب ، هي فى الواقع صلة الحاكم والمحكوم ، وصلة
الرعية والملك ، وأن صفة «السلطة العليا» و «الحاكمية المطلقة»
هي الأصل من بين أسماء الله الحسنى وصفاته السامية الكثيرة ،

(١) نفس المصدر ، ص : ٧٩ .

وكان الدعوة الى الايمان بحاكمية الاله والاذعان لسلطته العليا
وصوغ الحياة فى قالب متطلباتها ، كان هدف النبوة الاساسى ،
ومقصد بعثة الانبياء وأساس دعوتهم ، وغاية نزول الكتب
والصحف السماوية كلها .

ومهما كان ذلك نتيجة لازمة للايمان بالله والدخول فى
حظيرة الاسلام ، ومهما كانت طبيعة الاسلام تقتضيه اقتضاء
طبيعيا ، فانه جزء صغير بالنسبة الى صفات الله وذاته ، وصلته
بعباده وصلة عباده بنفسه ، وليس هو كل شىء كما يظنه هؤلاء
السادة . والواقع أن صلة الخالق والمخلوق والعبد والمعبود هي
أشمل وأوسع ، وأعمق وأدق ، بكثير وكثير من صلة الحاكم
والمحكوم ، والأمر والمأمور ، والسلطان والرعية ، وقد لهج
القرآن الكريم بذكر أسماء الله وصفاته فى بسط وتفصيل وأسلوب
شيق جميل ، لا يدلان ابدا على أن المطلوب من العبد هو الايمان
بمجرد حاكميته المطلقة والاذعان لسلطته العليا ، وأن لا يشرك
آخرين معه فى سلطته ، اقرأ على سبيل المثال الآيات التالية من
أواخر سورة الحشر :

« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو
الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو ، الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحانه الله عما يشركون ،

هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى
السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم « (١) .

مقتضى الأسماء والصفات والأفعال الالهية :

ان هذه الأسماء والصفات والأفعال الالهية — التى زخر
القرآن الكريم بذكرها — تتطلب فى صراحة ، أن يحب العبد الهه
وربه بقلبه وقالبه ، وأن يتفانى فى طلب رضاه ، وأن يتغنى بمجده
ويسبح بحمده ، وأن يلهج بذكره تياما وقيودا ، وأن يكون ذلك هو
شغله الشاغل وهمه الوحيد ، وأن يظل خائفا منه ، فزعا من
بطشه وقهره ، وجلا من غضبه وسطوته ، ملتجئا اليه فى كل
حال ، مادا اليه يد السؤال ، متضرعا اليه بالحاح واقبال ،
متطلعا الى جماله الذى هو مصدر الحسن والاحسان ومنتهى
الفضل والكمال ، تملكه عاطفة البذل فى سبيله بكل ما عنده من
نفس ونفيس ، وغال ورخيص .

والذين حصروا صفات الله وحقوقه ، فى حق الحاكمية
والسلطة العليا وحده وراوه أصل الحقوق الالهية ، واول المطالب
الربانية ، أخاف أن يكون قد صدق عليهم قول الرب تبارك
وتعالى : « وما قدروا الله حق قدره » . . . ان القرآن الكريم قد
أستخدم التفصيل والتوسع فى ذكر الصفات واثباتها ، بالعكس

(١) سورة الحشر : ٢٢ — ٢٤ .

من الفلسفات القديمة التى استخدمت التفصيل والتدقيق فى نفي الصفات ، واذا كان لابد من ذكرها لجأت الى الاجمال والايجاز ، يقول شيخ الاسلام ابن تيميه : « ان أسلوب القرآن المجيد هو النفي المجمل والاثبات المفصل » (١) . . . انه اكتفى فى النفي بقوله القاطع « ليس كمثله شيء » أما فى الاثبات فيختار ذلك الأسلوب التفصيلى العجيب الذى مر مثاله مقتبسا من سورة الحشر ، وذلك لأن الحب العميق والاتجذاب الكامل ، والعشق المتيم ، لا يتأتى بدون الاطلاع على الصفات اطلاقا دقيقا ، والاحاطة بها احاطة شاملة ، وتنطبق مظاهر هذه الصفات فى حياة الانبياء وأعمالهم وسيرتهم وسلوكهم ، ولا سيما فى أعمال سيد الانبياء وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وتعاليمه وتربيته ، وفى كيفية صلاته وقيامه ، وفى دعائه والتجائه ، وابتهاله وتضرعه ، وانايته واخبارته ، وحبه وحنينه ، وتشوقه لذات الله ، وامعانه فى الذكر والعبادة ، والاستراحة اليهما ، والتذوق والتعلى بهما . كما تتجلى فى حياة صحابته الكرام واتباعهم العظام ، والبررة والصالحين والعلماء الربانيين فى الأمة .

وكان ذلك كله ناشئا من انهم لم يكونوا يؤمنون بالله كالحاكم الاعلى والسلطان الاعلم فحسب ، بل كانوا يرونه — بجانب كونه

(١) راجع كتاب النبوءات لابن تيمية .

معبودا وربما — محبوبا حقيقيا ، وموضع الحب الأصيل ، ومنتهى
الجلال والجمال ، والفضل والكمال .
تعريف « العبودية » و « الإله »
لدى شيخ الإسلام ابن تيمية :

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية — وهو فى مكانته من الفهم
لروح الإسلام ، والتضلع من علوم الكتاب والسنة ، والبعد عن
كل ما أحدث فى القرون الأخيرة — لا يرى الطاعة والنذل
وهدهما يوفيان حق العبودية التى هى حق الإله والرب ، تلك
الطاعة والتذل اللذان يمارسهما الإنسان لمن يعتقد فى سلطته
العليا وحاكميته المطلقة ، ويرضى بهما ذلك الحاكم الأعلى بدوره
أيضا . . . بل يشترط للعبودية بالاضافة الى الخضوع والتذل ،
غاية الحب التى تتطلب — بجانب الحاكمية والسلطة — صفات
ومضائل تجعل السلطان الأعلى والحاكم على الاطلاق يستحق أن
يكون موضع غاية الحب فى نظر « العبد » و « العنابد » . يقول
فى رسالته الشهيرة « العبودية » :

« لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ،
فمنها تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له » (١) .

(١) « العبودية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع وتوزيع :
المكتب الإسلامى ١٩٦٣ م ، ص ٦٠ .

ويقول :

« من خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له ، ولو أحب شيئا ولم يخضع له ، لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شيء وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء » (١) .

ولا يكفى بهذا القدر ، بل يقول وهو يشرح « الاله » ويشير الى اشتقاقه :

« الاله هو الذى يألوه القلب بكمال الحب والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والخوف والرجاء ، ونحو ذلك » (٢) .
وتدل عبارته الأخرى دلالة صريحة على أن الصلة بين العبد والمعبود ليست هى صلة الحاكم والمحكوم وحدها بل الأولى أوسع من الثانية بدرجات كثيرة ، وأجمع وأشمل ، فهى تشمل المعرفة والانابة والمحبة والاخلاص والذكر ، وما الى ذلك ، على حين يكفى للحاكم مجرد الخضوع والتذلل ، والطاعة والانقياد .

يقول :

(١) نفس المصدر ، ص ٧ - (٢) المصدر نفسه ، ص : ١١٣

« ان الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفة ، والانابة اليه
ومحبته ، والاخلاص له ، فبذكره تطمئن قلوبهم ، وبرؤيته فى
الآخرة تقر عيونهم ، ولا شئ يعطيهم فى الآخرة أحب اليهم من
النظر اليه ولا شئ يعطيهم فى الدنيا أعظم من الايمان
به » (١) .

ويقول وهو يتحدث عن هذه العبادة :

« ولا صلاح لهم ولا فلاح ، ولا نعيم ولا لذة ، بدون ذلك
بحال ، بل من اعرض عن ذكر ربه ، فان له معيشة ضنكا
ونحشه يوم القيامة أعمى » (٢) .

ما أعظم الفرق وأعمقه بين تعريف الاله هذا ، وبين
التعريف الذى يجعل الحاكمة والسلطة العليا — التى ترجمها
الاستاذ المودودى نفسه بـ (Sovereign) — ملك الامر فى
باب الألوهية ، واذن فمن الواضح ان هذا « الاله الرسمى »
لا يحتاج الانسان بصدده الى الحب ولا الاكثار من الذكر ، بل
يكفيه مجرد الطاعة الكاملة والولاء والاخلاص (Loyalty)

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، ج ١ ، ص ٢٣
طبع ١٢٨١ هـ
(٢) نفس المصدر ، ص ١٣ .

الدعوة الى التوحيد واستئصال شافة الشرك ، كانا هدف

بعثة الانبياء وتعليمهم ودعوتهم الاساسى عبر التاريخ البشرى :

يقول الأستاذ المودودى — وهو يقرر أن الحكم والسلطة

لا يقبل شىء منهما التجزئة والتقسيم : —

« فالذى يعتقد أن امر كائن ما من دون الله مما يجب اطاعنه

والاذعان له ، بغير سلطان من عند الله ، فإنه يأتى من الشرك

بمثل ما يأتى به الذى يدعو غير الله ويسأله وكذلك الذى يدعى

أنه مالك الملك والمسيطر القاهر ، والحاكم المطلق بالمعنى

السياسية ، فان دعواه هذه كدعوى الألوهية ممن ينادى بالناس :

« انى وليكم وكفيلكم وحاميكم وناصركم » ويريد بكل ذلك المعانى

الخارجة عن نطاق السنن الطبيعية « (١) .

ان هذه العبارة تتم عن أن الاشراك فى الحكم ، والاشراك

فى الألوهية أو العبادة ، يتساويان ولا يتفاضلان ، بل انهما شىء

واحد ، وأن طاعة احد والخضوع لحكمه بالمعنى السياسية شرك ،

كشرك من يعبد أحدا غير الله (فى دائرة ما بعد الطبيعة) ويتقدم

اليه بالدعاء ، ويتقرب اليه بالنذر والذبح ، والخوف والرجاء . . .

(١) « المصطلحات الأربعة فى القرآن » ص ٣١ — ٣٢ .

ويبدو أن الاستاذ المودودي لا يعنيه الا الدعوة الى الطاعة السياسية لأحد ، والخضوع لسلطانه ، والاذعان لحاكميته ، ورد حق التشريع اليه ، وعلى ذلك تتركز جهوده الكتابية ومحاولاته القلمية ، ومن يقصر مطالعته على هذه المقالات والكتابات وحدها ، ويعيش فيها ويتنفس في جوها ، ويتغذى بها عقليا وفكريا ، تتأكد في نفسه أولية الاشرار في الحكم وأهميته طبيعيا وتتضائل عنده شناعة الاشرار في العبادة - اذا لم يكن له نصيب من تعليم ديني قائم على اساس الكتاب والسنة ولم تفعل فيه العوامل والمؤثرات الثقافية والتربوية الأخرى - والاعتقاد في أحد (في دائرة ما بعد الطبيعة) بأنه موضع العبادة والاستعانة ، والتضرع والدعاء ، والسجود والخضوع ، وما الى ذلك من مظاهر غاية التعظيم والتقديس ، أو يرى أن ذلك كله من خصائص الجاهلية القديمة البدائية حيث كان العقل البشري في مرحلة الطفولة ، وكان العلم والثقافة والمدنية لا تزال في المراحل الأولى ، وأما الآن وقد تقدم الزمان ، فان تركيز العناية عليه ، والتصدي لمقاومته ومحاربتة ، معناه اضاءة الوقت والجهد ، وجهاد في غير جهاد ، وانصراف عن الأهم الى غير الأهم .

وبالعكس من ذلك نرى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، كان أول دعوتهم وأكبر هدفهم في كل زمان ومكان وفي كل بيئة هو تصحيح العقيدة في الله تعالى ، وتصحيح الصلة بين العبد وربّه ،

والدعوة الى اخلاص الدين وافراد العبادة لله وحده ، وأنه النافع .
الضار المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك وحده ، وكانت
حملتهم مركزة موجهة الى الوثنية القائمة فى عصورهم ، المثلة
بصورة واضحة فى عبادة الأوثان والأصنام والصالحين المقدسين
من الاحياء والأموات ، الذين كان يعتقد أهل الجاهلية « أن الله تمد
خلع عليهم لباس الشرف والثأله ، وجعلهم متصرفين فى بعض
الأمور الخاصة ، ويقبل شفاعتهم فيهم بالاطلاق ، بمنزلة ملك الملوك
يبعث على كل قطر ملكا ويقلده تدبير تلك المملكة فى ما عدا الأمور
العظام (١) » .

وكل من له صلة بالقرآن — وهو الكتاب المهيمن على الكتب
السالفة — يعرف اضطرارا وبداهة أن القضاء على هذه الوثنية ،
والانكار عليها ومحاربتها ، وانقضاء الناس من برائتها
كان هدف النبوة الاساسى ، ومقصد بعثة الانبياء ، واساس
دعوتهم ومنتهى أعمالهم ، وغاية جهادهم ، وقطب الرضى فى
حياتهم ودعوتهم ، حولها يدندنون ، ومنها يصدرون ، واليهما
يرجعون ، ومنها يبدأون واليهما ينتهون ، والقرآن تارة يقول
باجمال « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله

(١) التعبير مأخوذ من كتاب « حجة الله البالغة » للإمام أحمد
ابن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى .

إلا أنا فاعبدون «(١) ، وتارة يقول بالتفصيل فيسمى نبيا نبيا ،
ويذكر أن افتتاح دعوته كان بهذه الدعوة الى التوحيد(٢) .
وقد سمى القرآن عبادة الأوثان « الشرك الأكبر »
و « الرجس » و « قول الزور » وشنع عليه التشنيع الأعظم ،
فقال فى سورة الحج : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير
له عند ربه ، وأحلّت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم : فاجتنبوا
الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، هتفء الله ، غير
مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه
الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »(٣) .

أسوء الأنبياء وطبيعة النبوة :

وتلك هى طبيعة النبوة وطبيعة الدين الذى تجيء به النبوة .
ان اكره شىء اليهما هى هذه الوثنية وعبادة الالهة الكاذبة والأوثان
والأصنام المنحوتة على يد البشر ، التى يسجد لها الناس ويتقربون
اليها بالدعاء والتضرع والنذر والذبح ، ذلك الذى لا يجوز لغير

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء .

(٢) اقرأ على سبيل المثال الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٦١ ،

٨٤ من سورة هود . . والآيات ٥٤ ، ٥٤ من سورة الأنبياء . .
و ٦٩ ، ٨٢ من سورة الشعراء . . و ٤١ ، ٤٢ من سورة مريم
. . و ١٦ و ١٧ و ٢٥ من سورة العنكبوت . . و ٣٧ و ٤٠ من
سورة يوسف .

(٣) ٣٠ — ٣١ من سورة الحج .

الله ، ومن أجل ذلك حينما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً منتصراً يتمتع فيها بما لم يكن يتمتع به من ذي قبل ، من الكلمة النافذة والأمر المطاع والسلطة الكاملة ، صنع أول ما صنع أنه دخل الكعبة التي كان فيها وفيما حولها ثلاث مائة وستون صنماً فجعل يغمزها بقوس في يده فتساقط على وجوهها ، وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » (١) « قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » (٢) .

ولم يكتف بهذا القدر ، بل أرسل سراياه الى مواطن الأوثان حول الكعبة فحطمت كلها ، منها أمثال اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، التي كانت كبرى الأصنام المركزية فى الجاهلية ، كان يتوافد اليها الناس من الأتحاء يعبدونها ويسجدون لها ، ونادى مناديه بمكة « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنماً الا كسره » ، وبعث رجالاً من أصحابه الى القبائل فهدموا أصنامها (٣) . ويقول جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه : « كان بيت فى الجاهلية يقال له «ذو الخلصة»

(١) سورة بنى إسرائيل ، ٨١ .

(٢) سورة سبأ ٤٩ راجع صحيح البخارى « باب اين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح . واقرأ للتفصيل « زاد المعاد » ج ١ ص: ٤٢٤ .

(٣) راجع للتفصيل زاد المعاد ج ١ ، ص ٤٣٩ .

و « الكعبة اليمانية » و « الكعبة الشامية » فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم : ألا تريحنى من « ذى الخلصة » ؟ فنفرت فى مائة وخمسين راكبا فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فدعا لنا ولس « أحمس » (١) . وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم من اهتمامه بشأن ازالة آثار الجاهلية وشعائر الوثنية ، الى أن بنى ثقيف لما ترجوه صلى الله عليه وسلم أن يبقى صنمهم القومى « اللات » لثلاث سنين ، وألحوا على ذلك حتى تنازلوا الى سنتين ، فالى سنة ، فالى شهر ، أبى كل الإباء ، وانكر عليهم أشد الانكار ، وأرسل المغيرة بن شعبه وأبا سفيان ابن حرب فهدهما وبلغت به كراهيته للشرك وعبادة غير الله (فى دائرة ما بعد الطبيعة) الى أنه قال فيما قال فى مرض وفاته ولدى لحوقه بالرقيق الأعلى : « قاتل الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد » (٢) وتقول عائشة وابن عباس رضى الله عنهم « لما نزل (٢) برسول الله صلى الله عليه وسلم ، طفق يطرح خميسته على وجهه فاذا اغتم (٤) كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد —

(١) صحيح البخارى باب غزوة ذى الخلصة .
(٢) موطأ الامام مالك (٣) يعنى المرض .
(٤) احقبس نفسه من الخروج من أجل شدة الحر .

يحذر ما صنعوا(١) .

مما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى الشرك واتخاذ شعائره ، أقدم أدواء الأمم والملل ، وكان يخاف أن تعود الوثنية ، وتدب فيها الحياة وتستأنف النشاط ، فحذر منها أمته ، ولم يفته أن يؤكد الإنذار حتى فى هذا الموقف الدقيق وفى آخر عهده بالدنيا ، وأعرب عن أشد كراهيته ومقتته لها ، وتأذيه بها ، وتألمه منها ، ومعنى ذلك أن الدنيا مهما تغيرت : وأن الزمان مهما تقدم ، وأن الإسلام مهما قطع أشواطاً بعيدة فى التقدم والانتشار والانطلاق ، فسيظل هذا الخطر قائماً ، وعلى العلماء وأصحاب الدعوة الإسلامية والنائبين عن الأنبياء أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، وأن يعدوا لمقاومته عدتهم ، وأن لا تجدن الهوادة عندهم منفذاً فيما يتصل بهذا الجانب .

لا تزال « اللات » و « مناة » غضتين وفى طور شبابهما :

ان هذه الوثنية والشرك — بمعنى التأله لغير الله ، وغاية التذلل له ، والسجود والدعاء والاستغاثة به ، والنذر والذبح له — هى الجاهلية العالمية التى هى أقدم أدواء البشر ومواضع ضعفه وسقطته ، وهى باقية مع البشر فى جميع مراحل حياته وتطوراتها.

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته .

وهى التى تثير غضب الله وغيرته ، وتحول بين العبد وتقدمه
الروحى والخلقى والمدنى ، وتهبطه من أعلى الدرجات الى أسفل
الدركات « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل
سافلين » (١) تهبطه من درجة مسجود للملائكة الى درجة ساجد
للضعيف من المخلوقات والخصيس من الموجودات .

انها هى الجاهلية التى تخنق القوى ، وتقتل المواهب ، وتقضى
على الاعتماد على الله ، والاعتداد بالنفس والثقة بها ، وتصرف
الانسان عن الالتجاء الى الله السميع البصير ، العليم القدير ،
الجواد الوهاب ، الغفور الودود ، والاستفادة من صفاته التى لاتعد
وخزائنه التى لا تنفذ ، الى الالتجاء الى الضعيف الفقير ، العاجز
الحقير ، الذى لا يملك شيئاً ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى
الليل وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، ذلكم الله
ربكم ، له الملك ، والذين تدون من دونه ما يملكون من قطمير ، ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم
القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير ، يا أيها الناس انتم
الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد » (٢) .

(١) الآيتان : ٤ — ٥ من سورة التين .
(٢) سورة فاطر ، الآيات : ١٣ — ١٤ — ١٥ .

موضوع جهاد الأنبياء وجهودهم على مدار التاريخ البشرى :

هذه الوثنية — فى دائرة ما بعد الطبيعة — بجميع أشكالها الواضحة والدقيقة ، كانت موضوع جهاد الأنبياء فى كل عصورهم وفى جميع بيئاتهم ومجتمعاتهم ، وهو الذى أثار غضب اهل الجاهلية ، فقالوا : « اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، ان هذا لشيء يراد ، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الاختلاق » (١) .

ومما لا يشك فيه عاقل درس تاريخ العصر النبوى ، واطلع على اخبار صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ان الصحابة لم يكونوا يفهمون من هذه الآيات التى سردناها الا هذه الوثنية السافرة ، وعبادة الأصنام والأوثان ، وتقديس الاشخاص الماضين أو الموجودين والسجود لهم ، والدعاء منهم ، والذبح والنذر لهم ، والحنف بأسمائهم ، والتقرب الى الله بعبادتهم ، والاعتماد على شفاعتهم المطلقة التى لا ترد ، وطلب النفع والضر وكشف الكربه منهم ، وهذا هو المستفيض المتواتر من آثارهم واخبارهم ومناهج كلامهم ، لا يختلف فيه اثنان .

ولا يزال هذا هو الركن الاساسى فى الدعوات الدينية و«حركات الاصلاح الى يوم القيامة ، وهو تراث النبوة الخالد

(١) سورة ص ، الآيات : ٥ — ٦ — ٧ .

« وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » (١) . وشعار
جميع الدعوة الى الله وجميع المصلحين المجاهدين .

أما مظاهر الجاهلية الأخرى كالطاعة لغير الله ، والتحاكم الى
غير الله وقبول التشريع غير الإلهي ، وتسليم حكومة لا تقوم على
النيابة عن الله ، وعلى أحكامه ، فكل ذلك يتبع هذه الوثنية
والشرك ويأتي بعده ، ولا يجوز أن يقلل من شأن هذا الشرك
الجليل المتقدم ذكره ، وأهميته ، وأن يوضع في الهامش من
منهاج دعوة أو جهاد ، أو يساوى بينه وبين معانى الطاعة والحكم
السياسية ، ويحكم عليها حكما واحدا ، أو يعتقد أنه من خصائص
الجاهلية القديمة المحدودة المتخلفة التي ولى عصرها وانقضى دورها ،
لأن ذلك لا يتفق مع الواقع المشاهد ، فلا تزال الوثنية والشرك
تقوم على قدم وساق بأشكالها وأنواعها القديمة ، وما يصنعه
الجهلة من الناس من أعمال الشرك الجلي على ضرائح الأولياء
والصالحين فيه كفاية ومقنع ، فلم يتركوا شيئا من غوايات
الجاهلية القديمة وضلالات الأمم الماضية ، وغلوهم في تقديس
غير الله وتعظيمه ، والسجود له ، والنذر والذبح له ، والدعاء
والالتجاء اليه ، والخوف والرجاء منه ، والحياء والتأدب
معه — الذى لا يستحقه الا الله سبحانه وتعالى — الا اتوا به

(١) سورة الزخرف ، الآية ، ٢٨ .

جهارا وعلانية(١) ، لك أن تشاهده بأمر عينيك هنا وهناك في كل مكان . . ثم ان هذه النظرية ، نظرية أن مظاهر الشرك الجلى المتقدم ذكره ، من خصائص الجاهلية الأولى الساذجة ، اساءة الى دعوة الانبياء وجهودهم ، وشك في خلود القرآن ، وأنه هو الكتاب الأخير الدائم ، ولا شك في أن منهاج النبوة هو المنهاج الصحيح الذى ارتضاه الله تعالى ، والذى كتب له من النجاح والتوفيق والانتاج والاثمار ما لم يكتب لاي منهاج من منهاج الاصلاح .

مكانة العبادات بعد التسليم بأن حقيقة الربوبية والألوهية هي السلطة والحاكمية :

وإذا كان — عند الأستاذ المودودى — « أصل الألوهية وجوهرها هو السلطة »(٢) وإذا كان « كل من الألوهية والسلطة تستلزم الأخرى وأنه لا فرق بينهما من حيث المعنى والروح »(٣) و « أن القرآن يجعل « الربوبية » مترادفة

(١) اقرأ على سبيل المثال كتب « الرد على البكرى » و « الرد على الأحنائي » لشيخ الاسلام ابن تيمية ، و « تقوية الايمان » للعلامة الشيخ اسماعيل الشهيد . وقد نقله الى العربية كاتب هذه السطور باسم « رسالة التوحيد » .

(٢) راجع « المصطلحات الأربعة في القرآن » ص ٢٣ .

(٣) راجع نفس المصدر . ص ٢٩ .

للحاكمية والملكية (Sovereignty) «(١) فاذا لا يعود مفهوم
« العبادة » - التي هي وظيفة العبد وحده - وأصلها وحقيقتها ،
إلا الطاعة والانقياد والولاء والوفاء (Loyalty) .. وقد
أخذت النقطة المركزية للربوبية والألوهية ، وفكرتها الرئيسية
وأخص خصائصهما (السلطة) ، ومفهومهما الوحيد ، وحقيقتهما
الأصيلة ، كل مأخذ من ذهنه ، حتى ضعف فيما يرى هو - أو
بتعبير أدق فيما تدل عليه كتاباته - شأن العبادات وأعمالها
ومظاهرها وشعائرها ، التي شرعتها الشريعة ، ودعا إليها الدين ،
وأحبها النبي حبا يفوق الوصف ، وجاءت عشرات من الآيات
القرآنية ومئات من الأحاديث النبوية ، ترغب فيها ، وتنوه
بشأنها ، وتشيد بذكر فضائلها ، وتحرض على التنافس فيها ،
وتشنى على الكثيرين منها والمعنيين بها ، وتندد بالراغبين عنها
أو المقصرين فيها .. وطبعاً بدت له الشعائر التعبدية في درجة
ثانوية ، وبدا له الانهماك والتوغل فيها والمداومة عليها ، نتيجة
الجهل لروح الدين ورمز عهد الانحطاط ، وأخذت فكرته ودعوته
هذه شدتها وحدثها حتى جعلت أسلوبه الكتابي يتسم - لدى
الحديث عن الفكرة المركزية للعبادات وروحها وجوهرها ، التي
لا يتجاسر أحد من أهل العلم أن ينكر أهميتها في حد ذاتها -

(١) انظر المصدر السابق . ص ٩٣ .

بما يشبه الاستخفاف بتلك العبادات المشروعة ، والاكتثار من الصلاة والذكر ، وهناك يتحول أسلوبه عن أسلوبه الكتابي الهادىء ، الى الأسلوب الانشائي الهادر .

يقول — وهو يتحدث عن عناصر العبادة (الولاء للسيد ، والطاعة له ، وتعظيمه) ويقرر أن هذه الأمور الثلاثة هي التي عبر عنها الله سبحانه بكلمة « العبادة » الجامعة — :

« استحضر في ذاكرتك هذا المعنى « للعبادة » ثم أجب على تساؤلاتي الآتية :

ما رأيك في الخادم(١) الذي بدل أن يذهب فيقوم بالوظيفة التي أسندها اليه سيده ، يظل قائما أمامه واضعا إحدى يديه فوق الأخرى ، يتلو اسمه ملايين المرات ؟ يقول له سيده : اذهب فأد حق فلان وفلان ، لكنه لا يبرح مكانه ويسلم على سيده عشر تسليمات راکما خاضعا ، ويستوى قائما يضع إحدى يديه فوق الأخرى ، ويأمره سيده قائلا : اذهب فاقض على هاتى المفاسد ، لكنه لا يتحرك من مكانه قيد بوصة ، ويسجد لسيده .

(١) وكلمة «الخادم» تدل على أن الاستاذ المرودى لا يرى الصلة بين العبد والمعبود والانسان والاله ، تختلف عن الصلة بين الحاكم والمحكوم . ولا فوق الصلة بين السيد والخادم والأمر والمأمور . فهو يقول في صريح العبارة : « ومن يصنع هذا الصنيع من خدم الاله تحسبه أنت عبادا ! » .

مرة بعد أخرى ، يقول له سيده : اقطع يد السارق ، فيظل قائما ويكرر عشر مرات بصوت جميل : اقطع يد السارق ، اقطع يد السارق ، لكنه لا يتحرك ليقوم ولو مرة واحدة بمحاولة لاقامة نظام الحكم الذى يسمح بقطع يد السارق . أهمل تقول : ان الرجل يعبد سيده فى معنى الكلمة ؟ ! وانى لأعلم ما ستقوله لخدمك وقف هذا الموقف ، ولكن ياله من عجب منك . . من يصنع من خدم الاله هذا الصنيع تحسبه أنت عبادا ، الله أعلم كم مرة يقرأ هذا المسكين أحكام الله فى القرآن الكريم منذ الصباح الى المساء ، لكنه لا ينشط من مكانه لتحقيق تلك الأحكام ، بل يستمر يصلى النفل بعد النفل ، ويسبح باسم الله على سبحة ذات ألف حبة ، ويلحن فى تلاوة القرآن ، وأنت ترى صنيعه هذا ، فتقول : ما أعبدته وما أزهده ! وانما وقعت فريسة هذا الفهم الخاطيء لأنك لا تدري المعنى الحقيقى للعبادة «(١)» .

ومن ألم بمحاولات الإصلاح والدعوة — التى لا تزال مستمرة منذ اليوم الأول حتى يوم الناس هذا — وقرأ كتابات العلماء الراسخين فى العلم وفى الدين ، أو استمع لخطباتهم ، يعلم انهم دائما دعوا الى العناية بجانب تربية الروح والحقيقة فى الصلاة

(١) « خطبات » — باللغة الأردية — الجزء الثالث ص ٦ ، ٧
توزيع المكتبة الإسلامية المركزية ، دهلى (الهند)

والذكر وسائر العبادات ، وإلى الأخذ - بجانب هذه العبادات -
بجميع الأحكام الشرعية وتطبيقها فى الحياة ، والقيام بمحاولات
تنفيذها فى المجتمع البشرى ، وقد وصفوا الحياة التى لا يوافق فيها
الظاهر الباطن ، والجسم والروح ، بل يخالف فيها القول الفعل ،
والظاهر الباطن ، بحياة النفاق ، وظل هؤلاء الاعلام منذ الامام
الحسن البصرى رحمة الله عليه الى يومنا هذا ينبهون المسلمين ،
ويدعونهم دعوة حثيثة الى هذه الحقيقة ، ويقولون لهم : « يا ايها
الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » (١) لكنهم لم يتخذوا قط -
فى التركيز على هذا الجانب الأهم - أسلوبا يتسم باستهانة
بقية الاشتغال بهذه العبادات والأذكار ، والاكتثار من التسبيح
والتحميد والتلاوة ، ولا سيما فى هذا العصر الذى طغت فيه
المادة على الروح ، وبدأت تقل تلقائيا أهمية الاكثار من
العبادة والذكر ، وأصبح الأسلوب المادى والسياسى يفرض
سيطرته على الحياة ، فكم كان يتحتم التحفظ ، وملاحظة الدقة
والحكمة لدى الحديث عن مثل هذا الموضوع الدقيق الحساس فى

(١) سورة البقرة : ٢٠٨ .

مثل هذا الوضع المكهيب ، فان النبائم يكفيه ادنى هزه
للسقوط .

اشادة القرآن بذكر الاكثار من

اعمال العبادة ، وترغيبه فى ذلك :

وعلى العكس من ذلك نجد القرآن الكريم يرغب مرة بعد
أخرى فى الاكثار من هذه الأعمال ، ويثنى على الكثيرين منها ،
وينوه بشأنهم ، ويلهج بذكرهم فى معرض المدح والثناء :
« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
ومما رزقناهم ينفقون » (١) .

« والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » (٢) .

« والمستغفرين بالأسحار » (٣) .

« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات » (٤) .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة

وأصيلا » (٥) .

ويمكنك أن تقدر مدى استحسان الله سبحانه لصفة الذكر

(١) الآية ١٦ من سورة السجدة

(٢) الآية ٦٤ من سورة الفرقان

(٣) سورة آل عمران ١٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٥) سورة الأحزاب : ٤٢ .

والإتابة والاختبات والاقبال على ذات الله ، من أنه يحث رسونه -
الحبيب محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلائق - الذى عن
طريق تعاليمه نالت الأمة أنواع سعادة الدنيا والآخرة - على أن
يبالغ فى تقدير المتحلين بهذه الخصال وتفضيلهم ، يقول :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغفواة والعشى
يريدون وجهه ، ولا تعد عينك عنهم ؛ تريد زينة الحياة الدنيا ،
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، وكان أمره -
فرطا » (١) .

ويقول فى موضع آخر :

« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغفواة والعشى يريدون
وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من
شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » (٢) .

أما الأحاديث الصحيحة التى تنوّه بفضيلة الأكتار من
النوافل والذكر والتلاوة ، فهى فى عدد يستعصى على الاستقصاء ،
وللقارىء الكريم أن يراجع الكتب والأبواب المفردة لبيان ذلك
فى كتاب من كتب الصحاح السبعة ، وليقرأ خاصة حديث التقرب

(١) سورة الكهف : ٢٨

(٢) سورة الأنعام ٥٢ .

بالنوافل (١) ليدرك مدى فضيلة النوافل وكبر شأنها ، أما الاكثار
من الذكر فيكفى الحديث التالي :

« عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال :
يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء
أتشبهت به . قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » (٢) .

الاعتقاد بمجرد حاكمية الاله

وسلطة الرب ، وتأثيره النفسى :

ان هذا المنهج من التفكير ، وهذا الأسلوب الكتابى — الذى
قد اسلفنا نماذج منه — يشكل خطر ظاهرة خطيرة — وقد بدت آثارها
— وهى أن الذين يستقون معلوماتهم الدينية من نبع هذا التفسير
للإسلام وحده ، وتقتصر دراستهم للإسلام على هذه الكتابات
وحدها ، ستعود علاقتهم مع الله ضيقة ، محدودة جافة ، جامدة
رسمية ، فارغة من الكيفيات الداخلية ، التى مطلوب من المؤمن
أن يتكيف بها ، ولا سيما اذا جاء الضغط مرارا وتكرارا على أن
الهدف الجذرى من بعثة الأنبياء ، وأن غاية تعاليمهم ومنتهى
أعمالهم ، هو احداث التغيير فى هذه الحياة الدنيا المحدودة ،

(١) وهو الحديث الذى رواه الشيخان فى صحيحيهما « لا يزال
عبدى يتقرب الى النوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به «الخ» .
(٢) رواه الترمذى .

والقيام بالانقلاب الصالح ، وتأسيس الحضارة البشرية على
الأسس الصحيحة ، واذا جاء التركيز على هذه الناحية بشدة
وحدة ، وحماس وقوة ، وبأسلوب يجعل تصورات الحب الالهى ،
والرضا الربانى ، والفلاح الأخرى تتضاعل ، فمن الطبيعى ومما
يتفق والعقل والمنطق والقياس ، ان يحيد ركب السعى والعمل
عن جادة الايمان بالغيب ، والحنين الى الآخرة ، وطلب رضا
الله ، والتفانى فى حبه ، تلك الجادة التى وضعه عليها الأنبياء
عليهم السلام ، الى درب طلب الحكم والعز والغلبة والوصول الى
الحكم ، وبالتالي الى المادية المجردة .

اقرا المقتطفات الآتية لكى تدرك بعض الشيء أى نوع من
القلوب والأذهان سيصوغها هذا القلب من التفكير :

١ - « ان الاسلام يهدف أصلا الى تخريج جماعة من
الصالحين تقوم ببناء المدنية الانسانية على أسس من الخير
والفلاح » (١) .

٢ - « من أجل تأسيس هذه الحضارة والمدنية فى الأرض
بعث الأنبياء عليهم السلام تترى » (٢) .

(١) «نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية» (باللغة الأردية)
الجزء الأول ، ص ٧٥ ، توزيع : « دار الاشاعة نشأة ثانية » حيدر
آباد .

(٢) « التجديد واحياء الدين » (باللغة الأردية) توزيع مكتبة
الجماعة الاسلامية ، دار الاسلام « بتهان كوت » بنجاب ، ص ١٠٢ .

٣ - « فغاية مهمة الأنبياء - عليهم السلام - فى الدنيا
هى الحكومة الالهية وتنفيذ نظام الحياة - بجميع اجزائه -
الذى جاعوا به من عند الله » (١) .

ويقول فيما بعد هذه السطور :

« من أجل ذلك حاول الأنبياء احداث الانقلاب السياسى ،
فاقتصرت جهود بعضهم على تهيئة الأرض ، كسيدنا ابراهيم عليه
السلام ، وقام بعضهم فعلا بحركة الانقلاب ، ولكن عملهم قد
توقف دون أن يتحقق تأسيس الحكومة الالهية كسيدنا المسيح
عليه السلام ، وبعضهم قد وصلوا بهذه الحركة الى منزل
النجاح ، كسيدنا موسى عليه السلام ، وسيدنا محمد صلى الله
عليه وآله وسلم » (٢) .

هل العبادات والأركان الأربعة

الإسلامية ، هى مجرد وسائل ؟

أضف الى ذلك أن المؤلف الداعية ، تمتلك عليه هذه
« الفكرة المركزية » مشاعره ، وتستولى عليه استيلاء يجعل
جميع العبادات الإسلامية وأركان الإسلام الأربعة الصلاة ،
والصوم ، والزكاة والحج (تبدو له وسائل وذرائع الى تلك

(١) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٢ .

الغاية ، وتدريباً لها ، وتمريناً لها ، وتمريناً عليها ، قد صرح بذلك مرات ومرات ، يقول فى موضع :

« هذه هى الغاية التى من أجلها فرض الإسلام عبادات الصلاة والصوم ، والزكاة والحج ، والتعبير عنها بالعبادة لا يعنى أنها هى العبادة ليس غير ، بل معنى ذلك أنها تعد الإنسان لتلك العبادة ، فكأنها مقررات تدريبية لازمة لها » (١) .

بيان القرآن الصريح وترتيبه الصحيح :

ان العبارة المذكورة أعلاه تدل دلالة واضحة على أن العبادات المعينة المشروعة (الصلوات الخمس) فى الواقع وسائل الى غاية اخرى ، هى الطاعة وتأسيس الحكومة الالهية ، واعداد التنظيم الى الحياة ، على حين ينص القرآن الكريم على ان الجهاد والحكومة وسيلة و « اقامة الصلاة » هى الغاية (٢) ، ولندع القرآن يقرر ما هى الغاية وما هى الوسيلة ، اقرأوا معى

(١) « نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية » الجزء الأول

ص ١٣ .

(٢) ولا يمنع كون الصلاة والعبادات والأركان الاربعة مقاصد مطلوبة ، من ذكر أسرارها ، وحكمها وفوائدها فى الحياة الاجتماعية ، وقد سلك علماء الإسلام هذا المسلك فى كتبهم كالفزالي والخطابي وعز الدين بن عبد السلام والشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، وسار سيرتهم المؤلف فى كتابه « الأركان الاربعة فى الإسلام » .

الآيات التالية من سورة الحج :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم
لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا
الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله
من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله
عاقبة الأمور » (١) .

شهادة أسوة الرسول والذوق النبوى :

من الحقائق التى لا تقبل الجدل والنقاش أن « الوسائل »
لا تكون علاقة المرء معها إلا علاقة عادية متجددة فى نطاق الضرورة ،
ومن الطبيعى أن يراها مرحلة انتقالية مؤقتة ، ومن هنالك فلا
يفكر فى أن يتقدم فيها ويتفوق ، ويصل إلى مدارج الكمّال ،
ولا تثور فى نفسه عاطفة التذوق والالتذاذ بها ، والإطمئنان
اليها ، وإذا فيعجز الانسان الذكى فى تحديد معانى الاحاديث —
وادراك قيمتها وأهميتها — التى تصف كيفية صلاة النبى
صلى الله عليه وسلم بما يلى : « ولجوفه ازيز كأزيز المرجل من

(١) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

البكاء» (١) . و « جمعلت قرة عيني في الصلاة » (٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا بلال رضى الله عنه . « يا بلال اقم الصلاة ارحنا بها » (٣) . و « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى » (٤) .

ولنظرة على القرآن الكريم تدل دلالة صارخة على ان العلاقة مع الله ، والعبودية ، والعبادات المعينة (الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج) مطلوبة من العبد راسا حيث يسأل عنها يوم القيامة ، ويستحق العقاب لو تركها أو أهمل فيها ، يقول القرآن الكريم وهو يصور الحوار مع الذين استحقوا النار : « ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض من الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى آتانا اليقين » (٥) .

ويقول فى موضع فيما يتصل بالكافرين :

« فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب وتولى ، ثم ذهب الى

أهله يتمطى » (٦) .

(١) رواه أبو داؤد والترمذى .

(٢) رواه النسائى .

(٣) ، (٤) رواه أبو داؤد

(٥) سورة المدثر ، الآيات : ٤٢ — ٤٧ .

(٦) سورة القيامة ، الآيات : ٣١ — ٣٣

هذه الآيات تدل صريح الدلالة على أن العبادات وأركان الدين ، هي حجر الزاوية في نظام الدين كله ، يؤخذ عليها العبد ويحاسب يوم القيامة ، أما الأمور الأخرى — كإقامة الحكومة الإلهية وتأسيس المدنية الإسلامية على أسس الخير والفلاح — فهي وسائل ، وفي درجة ثانوية في الدين .

التأثير النفسى لاعتبار العبادات والأركان وسائل :

ان الوسائل — كما أسلفت — لا يعنى بها الانسان الا بقدر الضرورة ، فلا يشغف بها ، ولا ينهمك فيها . . . واذا كانت العبادات — حتى الصلوات الخمس المفروضة — مجرد وسائل وذرائع فما معنى — يا ترى — طول قيامه صلى الله عليه وسلم وطول صلواته فى جوف الليل « حتى تورمت قدماه (١) » وما معنى ترغيبه فى الاكثار من النوافل وتبشيريه بأنها تقرب العبد الى ربه (٢) وتنويهه بأهمية انتظار الصلاة بعد الصلاة ، وتعبيره عن ذلك

(١) روى الشيخان والترمذى والنسائى عن المغيرة بن شعبه انه « قام النبى — صلى الله عليه وآله وسلم — حتى تورمت قدماه » .

(٢) اقرأ الحديث « لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل الخ » الذى رواه الشيخان .

يد « الرباط » (١) وادراجه الرجل الذي « قلبه معلق بالمساجد » (٢) في أولئك السعداء الذين « يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » وقوله عليه السلام : « عليك بكثرة السجود » (٣) وفوق ذلك كله وصف القرآن الكريم المؤمنين بالكلمات ذات الدلالات العميقة البارعة « والذين يبیتون لربهم سجدا وقياما » و « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » مما يدل على ان هذه العبادات ليست وسائل مجردة الى اقامة الحكومة الالهية ، والطاعة والتنظيم والحكم ، بل

(١) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الا اذلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا مفاضت عيناه ، (متفق عليه) .

(٣) جاء مرويا عن ثوبان وأبي الدرداء رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليك بكثرة السجود ، فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » (رواه مسلم ، والترمذى ، وابن ماجه ، والنسائي ، وأحمد في مسنده) .

انها غاية منشودة واعمال مقصودة بذاتها ، وان كان لا بد من وصفها بالوسائل ، فانها وسائل التقرب الى الله والفوز برضاه .

ومن نتيجة هذا الاسلوب من التفكير انه يجعل المرء لا ينبعث فى نفسه الشعور بالصلة القلبية بالعبادات ، ولا يتحرك لانشاء الروح والكيفية الباطنية فيها ، ولا تثور فى قلبه عاطفة الحصول على صفة الخشوع والخضوع ، والاخبات والاستحضار ، ودوام الذكر والاخلاص ، والايمان والاحتساب ، ولا يرى الحاجة الى هذه الكيفيات الباطنية والاخلاق اليمانية و « الاحسانية » ، ولا يحسب حسابا لقيمتها وغنائها ، فضلا عن أن يفكر فى الحصول عليها ، والتفوق فيها ، واحراز قصب السبق فى مجالها ، وان يبحث عن أئمة هذا الفن والاختصاصيين فى هذا الطب ، فيستفيد من تجاربهم ، ويعمل بوصاياهم ونصائحهم الخاصة بهذا الموضوع ؛

وقد كانت شبه القارة الهندية فى القرون الأخيرة أكبر مركز للعارفين والربانيين الذين كانوا دعاة مخلصين الى انشاء الروح والحقيقة فى العبادات ، وشحن بطارية القلب بالاخبات والانابة ، وشفع الاعمال بالاخلاص والاحتساب ، وقد خرجوا فى الاصلاح والتزكية والاحسان أئمة ومحققين انتفعت بهم أنحاء

جمعية من العالم الاسلامى ، واقطار. كانت مهد العلوم الاسلامية
ومركزها .

والاستاذ المودودى نفسه يضطر ان يعدل — حينما يتعرض
لهذا الموضوع — عن أسلوبه المعتاد الممتاز بالجدية ، فينفت قلمه
ما يختلف كل الاختلاف عن كتاباته الأخرى ، فحين يتحدث عن
الجهود الإصلاحية والمآثر التجديدية التى قام بها الامام أحمد بن
عبد الأحد السرهندى (المعروف بمجدد الألف الثانى) المتوفى
١٠٣٤ هـ ، والامام أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى
(١٠٧٦ هـ) وأتباعهما ومن خلفهما فى الدعوة والإصلاح
والتجديد يقول عن « التصوف » الذى ظلوا يعضون عليه بالنواجذ
طيلة حياتهم ويدعون اليه الناس :

« فكما ان الشيء الحلال مثل الماء يحرم على المريض اذا
أضره ، فكذلك هذا « القالب » (١) ، وجب تركه — على رغم
كونه مباحا — وذلك لأنه حيب عن طريقه الى المسلمين « الأفيون »
فما أن يقترب اليه هؤلاء المرضى المصابون بالداء العضال ، إلا
ويتذكرون هذه الحبيبة التى تيمتهم ، والتى دامت تنومهم قرونا

(١) اشارة الى « التصوف » .

طويلة (١) .

أسطورة البطالة والاستسلام

والفرار عن معترك الحياة :

وبصرف النظر عن حقيقة « التصوف الاسلامى » ومدى اتصاله بالكتاب والسنة (٢) ، وأن هذا المصطلح الذى حدث وشاع فى القرن الثانى فما بعده ، قد جنى على حقيقته ومقاصده ، وأن الاصل هو التعبير القرآنى « التزكية » الذى ورد فى مقاصد البعثة ، فى سورة آل عمران ، وفى سورة الجمعة ، والتعبير المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو (الاحسان) الذى ورد فى الأحاديث الصحيحة ، والانكار على ما أحدثه المتأخرون الخاضعون لفلسفات العجم ، وبصرف النظر كذلك عما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع ، وما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية من التحقيق والتنقيح ، وما جاء فى كتابه (مدارج السالكين) لتلميذه وحامل علومه العلامة الحافظ ابن قيم الجوزية ، فلا يتسع المجال فى هذه العجالة للحديث فى هذا الموضوع ، ولسنا فى موقف

(١) « التجديد واهياء الدين » ص ٧٣ — ٧٤ .
(٢) للاستاذ المودودى كلام جيد نوافقه عليه فى حقيقة التصوف الاسلامى ، والفرق بينه وبين الفقه ، راجع كتابه .. « مبادئ الاسلام » عنوان « التصوف » ص ١١٧ — ١١٩ ، الطبعة الثانية ، مكتبة الشباب المسلم .

الدفاع عن هذه الجماعة .

بصرف النظر عن كل ذلك ، نستعرض ما نسبته الاستاذ المودودي الى هذه الجماعة من البطالة ، والاستسلام ، والفرار عن معترك الحياة ، ونزنه فى ميزان العلم والتاريخ ، ونعرضه على محك التحقيق ، فان العلم أحق بالاحترام من الأشخاص والأفراد ، وقد ورد فى القرآن صريحا « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خير بما تعملون » (١) وسيكون البحث بحثا تاريخيا مجردا ، بعيدا عن كل عصبية ، ونزعة شخصية .

ان الاستاذ المودودي آمن كحقيقة بديهية ثابتة لا تقبل عنده جدالا ولا نقاشا : بأن « التصوف » عبارة عن البطالة والكسل والجمود ، والفرار عن معترك الحياة ، والانسحاب عن ميدان الكفاح والنضال ، والتراجع عن معركة الحق والباطل ، بل التفاهم مع القوى الباطلة ومماثلتها فضلا عن الاستسلام والخضوع لها ، وكلاهما يستلزم احدهما الآخر ، لا يفترقان أبدا .»

(١) المائدة : ٨ .

يقول في موضع :

« هل هناك دليل واقعي في الكتابات الصوفية على أن هؤلاء الشيوخ — الذين تنمى اليهم هذه المناهج الصوفية — كانوا يضعون في اعتبارهم « إقامة الدين » بأوسع معانيها ، وهل هناك دليل على أنهم إنما اتخذوا هذه المناهج من أجل تخريج الرجال لهذا الغرض ، وهل قام الرجال المتخرجون فيها — ولو مرة — بهذا العمل ؟ » (١) .

فيض من فيض :

واجابة على هذا التساؤل ، سوف لا أتوغل في الثروة التاريخية الغنية المكثفة ، ولا أنتقى منها أسماء الكثرة الكاثرة من رجال الجهاد والكفاح ، والدعوة والعزيمة والاصلاح ، وقادة حركات الثورة والانقلاب ، الذين كانوا يجمعون بين السيف والمصحف ، والعقل والعاطفة ، وبين التسبيح في المسجد والبيت في ظلام الليل ، والتكبير في ساحة الجهاد على صهوات الخيل ، ولا يهابون السجون والمعتقلات ، والمشائق والمحاکمات ، وقد جابهوا القوى الباطلة برجال أعدوهم اعدادا واحسنوا تربيتهم ... بل نكتفى بعرض نموذجين من كتاب الاستاذ نفسه « التجديد و احياء الدين » وهما : الامام السيد أحمد بن عرفان

(١) « رسائل و مسائل » (بالاردية) الجزء الثاني ، ص ٦٠٢ .

الشهيد ، والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله الشهيد
 (ش ١٢٤٦ هـ) اللذان قال فيهما : « ان هذين الشيخين قد غديا
 هؤلاء المرضى من جديد ذلك الغذاء الذى قد عهد انه يضر ضررا
 مبيدا فى مثل هذا المرض » وان « عملية البيعة كانت تصاحب
 حركة السيد احمد الشهيد » . . . يقول معترفا بتأثير السيد احمد
 الساحر المموس ، ودوره فى التغيير والانتقال :

١. — « انه نهض بعبء اصلاح عامة الخلق دينا وخلقنا
 وسلوكا ، وحيثما بلغ تأثيره ، حدث تغير هائل فى الحياة جدد
 ذكرى عهد الصحابة الكرام رضى الله عنهم .

٢ — انه اعد عدته للجهاد على نطاق واسع لم يكن سهلا
 ميسورا فى اوائل القرن التاسع عشر فى بلد منحط كالهند ،
 تجلت فيه مواهبه التنظيمية النادرة ، وأوحت اليه المعية البالغة
 ان يتخذ المنطقة الشمالية الغربية من الهند منطلق عملته ، لأنها
 كانت بدون شك أكثر ما تكون ملائمة لهذا العمل باستراتيجيتها
 وموقعها الجغرافى والسياسى ، وتقيد هذا الجهاد بصميم تلك
 المبادئ الخلقية والقوانين الحربية التى يتميز بها المجاهد فى
 سبيل الله عن المحارب المادى ، وبذلك فهو مثل امام العالم
 من جديد روح الاسلام الحقيقى ، ولم يكن يبتغى من وراء جهاده

عرضا من الدنيا او تشييد ملك ودولة ، او انتصار لعصبية قومية
او غرضا من الأغراض الدنيوية ، بل كان جهاده خالصا لوجه الله
الكريم ، ولم يكن يهدف الا الى انقاذ خلق الله من حكم الجاهلية
وتأسيس نظام الحكم الذى يرضاه الخالق ومالك الملك ،
وبدا الحرب من أجل هذا الغرض على الطريقة الاسلامية ، فدعا
اولا الى الاسلام او الجزية ، ثم باشر الحرب بعد اتمام الحجة ،
والتزم التزاما دقيقا بالقوانين الحربية المتحضرة التى علمها
الاسلام ، لم يتعرض لظلم او وحشية او اضطهاد ، كلما دخل
قرية دخلها كمصلح لا كمفسد ، ولم تكن جنوده تحمل معها خمرًا ،
ولم تكن تصاحبها الجوقة الموسيقية ، ولا طابور المومسات ، ولم
يكن معسكره مصائد الفجرة ، ولم يحدث أن مر رجال جنده بمنطقة
فأصبح أهلها يشكون الغائلة على مالهم وحرمتهم وحقيقتهم ، كانت
رجالهم رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، يخشون الله ويخافون
حساب الآخرة ، قائمين على الحق فى كل حال ، سواء أجر عليهم
القيام عليه خسارة او جلب لهم ربحا ، لم يتخاذلوا اذا انهزموا ،
ولم يتجبروا ويتكبروا اذا انتصروا .

٣ - « والفرصة القليلة التى اتحت له للحكم فى منطقة
صغيرة ، اقام فيها نفس الحكومة التى يقال لها « الخلافة على
منهاج النبوة » فامارة ساذجة متقشفة ، ومساواة وشورى ،

بوعدل وانصاف ، وتنفيذ للحدود الشرعية ، واخذ للمال بالحق ، وانفاقه بالحق ، وانتصار للمظلوم وان ضعف ، وانتقام من الظالم ، وان قوى ، واستشعار لخوف الله فى الحكم ، وادارة السياسة على أساس الأخلاق الصالحة ، وجملة القول انه مثل من جديد ذلك الحكم الذى حكمه — فى زمن بعيد — الصديق والفروق رضى .
الله عنهما « (١) .

أفلم تكن جهود الشهيدين وجهادهما فى سبيل « اقامة الدين » ؟ :
وها هنا يمكن ان نتساءل — بكل ادب واحترام — : أفلم يكن الهدف الذى من اجله قام السيد احمد وصاحبه العلامة اسماعيل ابن عبد الغنى الشهيدان بهذه المحاولات كلها ، او لم يكن ما احرزه من نجاح فى اصلاح الأخلاق والسلوك ، واحداث التغيير الهائل فى الحياة ، واعداد الرجال للجهاد ، والقيام بالجهاد وفق المبادئ الاسلامية الأصيلة ، وتأسيس نظام الحكم المرضى لدى الخسائق ملك الملك ، واقامة الحكومة التى كانت على نموذج الخلافة فى عصر الراشدين ، أفلم يكن ذلك كله محاولة « اقامة الدين » (٢) ؟ وهل قام بهذه المآثر الا اولئك الذين كانوا أئمة .

(١) « التجديد و احياء الدين » (بالاردية) ص ٧٠ — ٧١ .
(٢) وأرجو القاء نظرة ممعنة على السطور المخطوط عليها التى لا تشرح الا « اقامة الدين » .

من التزكية والاحسان يدعون الى الربانية الصافية ، والتريبة
الروحية البعيدة عن كل بدعة وخرافة .

وذلك طبيعى ومنطقى تماما ، وما يقرر علم النفس والنربية
نقانه لا يضطلع بهذا « العمل الجليل » الا ذلك الذى تحرر كليا
من عبادة النفس والهوى ، وتخلص تماما من برائن الأمراض
الجاهلية كـ « حب الدنيا » و « حب الحياة » و « كراهية
الموت » تلك التى تشير اليها الآية الكريمة « يود احدهم لو يعمر
الف سنة » ، واصبح حنين وشوق الى لقاء الله والفوز برضاه ،
والوجد والهيام ، والحب والحنان ، حتى كأنه يقول بلسان حاله :

غدا الاقى الأحبة محمدا وحزبه (١)

وأرى جديرا أن أنقل بهذه المناسبة ما سبق لى أن قلته
فى مقال لى فى معرض الحديث عن حب هؤلاء الربانيين وشوقهم
الجامح للجهاد والشهادة :

« الحقيقة أن هذه المجاهدات والرياضات ، وتزكية النفس
والصلة بالله ، تنشئ فى الإنسان حالة عجيبة من الشوق والوجد ،
والحب والحنان ، تتغلغل فى احشائه ، وتستقر فى أعماقه ، حتى

(١) تلك الكلمات قالها سيدنا بلال رضى الله عنه وهو فى حالة
الاحتضار يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقد رويت أشباهها عن كثير من
العارفين وعباد الله الصالحين .

تراه يتشدد بلسان خاله ، ويقول :

« انى لا املك شيئاً اُفديك به ، الا هذه الحياة التى اعترتني

اياها ، فهى منك وبك ، ومن فيضك وفضلك » .

فنهاية المطاف فى هذه الرحلة الروحية والسلوك الطويل ،
هى حب الشهادة ، والغاية الأخيرة من هذه المجاهدة والرياضة
هى الجهاد .

ان اليقين والحب هما جناحان لصقر الجهاد والاجتهاد يخلق
بهما فى السماء ، انه لا يستطيع أحد ان يترفع عن أهواء نفسه ،
وعاداته ومألوفاته ، ومصالحه ومنافعه ، وأغراضه وشهواته ،
ولا يمكن لأحد ان يترفع عن المستوى السافل الذى أشار الله اليه
بقوله : « ولكنك أخذنا الى الأرض واتبع هواه » الا اذا تجلى فيه
اليقين والحب ، فأصبح كالبرق الخاطف فى الليل البهيم ، او
كالشعلة المتأججة التى لا تخمد نارها ولا يهدأ أوارها .

ان تجارب الحياة الطويلة تدلنا على أن المعلومات والدراسات ،
أو القوانين والأشكال الفارغة لا تستطيع أن تثير فى الإنسان
أدنى رغبة فى الأيثار والتضحية ، فضلاً عن الفداء بمهجته وروحه ،
انه لا بد له من صلة عميقة راسخة ، ولذة روحية ، والحرص على
فائدة معنوية تصغر فى عينيه الفوائد المادية العاجلة ولعل الشاعر
أنشد فى هذا الحال ، أو صور هذا الموقف اذ قال :

فحيهلا ان كنت ذاهمة فقد حدى بك حادى الشوق فاظنوا المراحل
وقل لمنادى حبهم ورضاهم اذا ما دعا ، لبيك الفا كواملا (١)
وذاك هو السر فيما نراه من وجود شخصية فذة قوية ،
على راس كل حركة للجهاد والكفاح ، نفخت فى المجاهدين روح
الحماسة واليقين ، وحملت هذه الشرارة الى صدور المؤمنين
الآخرين ، حتى شقت عليهم حياة الهدوء والنعيم والترقب ،
واصبحوا لا يطيقونها ، وهانت عليهم حياة الشهادة والجهاد ،
والبطولة والتضحية ، وعزت عليهم الحياة كما عز على غيرهم
الموت ، وذلك هو النموذج الكريم المفقود ، والامام المنشود
المقصود الذى اثار اليه « اقبال » فقال :

« ان الامام الحق وامام العصر ، هو من يبعث فيك المقت والكراهة
للحاضر والموجود ، يريك وجه الحبيب فى مرآة الموت ، فينغص
عليك الحياة ، ويبعث فيك الشعور بالخسارة ، فيبعثك بعثا جديدا ،
ويسن حديدك بالفقر ، فتصبح سيفا بتارا لا يبقى ولا يذر» (٢)

(١) من أبيات وردت فى كتاب زاد المعاد لابن القيم فى فصل
الجهاد .
(٢) من مقال « بطولة وكفاح ، لا بطالة ولا استسلام »
المعرب من الأردية بقلم الأستاذ محمد الحسنى ، المدرج فى كتاب
« ربانية ، لا رهبانية » .

على رأس كل حركة الجهاد والتضحية

شخصية روحية قوية :

وليقدم أحد ازاء ذلك مثالا واحدا لمحاولات « اقامة الدين »
تحقق على يد شخصية بعيدة عن الاعتناء بالباطن وتركيسة النفس
والصلة العميقة بالله بل متنكرة لكل ذلك ومعارضة اياه ، وها هو ذا
تاريخ الاسلام والمسلمين الماضى بين ايدينا نعرفه نحن والأساتذ
المودودى وكثير وكثير من رجال العلم والثقافة والدراسة ،
فليد لنا أحد على حركة جهاد وكفاح وتجديد واصلاح ، كان
قائدها وليد مجرد ذكائه ودراسته ، ومعلوماته ومطالعه ، وتأمله
وامعانه ، ما « مسته » تربية دينية روحية ، ولا تزكية ربانية
قوية (١) .

وعلى العكس من ذلك نرى أن من قاد هذه الأمة فى
أشد ساعاتها وأخرج مواقفها من الاحتضار والانهيار ، وحينما
تغلبت عليها الأوضاع الفاسدة ، أو دهمتها الليالى القاتمة ، أو
تداعت عليها الأمم ، وبدا التغيير محالا ، هم رجال الحب واليقين ،

(١) ويمكن تسمية بعض المصلحين الجانبيين الذين مثلوا دورا
لا يستهان بقيمته فيما يتصل بالدعوة والتبليغ واصلاح العقائد
والكفاح ، والتجديد الاسلامى ، ويستدل بذلك على عدم عموم هذه
الكلية واطلاقها ، ولكنهم كانوا يتمتعون بروح « الاحسان »
والصلة بالله وتركيسة النفس ، وذلك هو المطلوب ، ليس المنهج
الخاص « الروتينى » لتحصيل هذه النتيجة ، فتبقى الكلية على
عمومها واطلاقها .

ليس غير (٢) .

« لما هجم التتار على العالم الاسلامى ، وداسوه تحت اقدامهم ،
وتقلص ظل الخلافة العباسية ، وقضى على حكومة «خوارزم شاه»
التي كانت الحكومة الاسلامية الوحيدة فى ذلك العصر ، استولى
اليأس القاتل على العالم الاسلامى كله ، وعلموا ان الانتصار
عليهم ضرب من المحال ، وترددت على السنة الناس « اذا قيل
لك ان التتر انهزموا فلا تصدق » هنالك برز فى الميدان بعض
رجال العزيمة واصحاب القلوب ، ولم يياسوا من هذه الأوضاع ،
واستمروا فى مهمتهم وجهادهم ، حتى أسلم بعض ملوك التتار
على ايديهم ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ولما اتجهت حكومة « اكبر » - فى الهند الى اللادينية
والالحاد اتجاها سافرا ، وأراد « اكبر » - وكان من اكبر
الملوك الذين عرفتهم الهند ، واقواهم - أن يطمس على معالم
الاسلام وملامحه الواضحة وميزاته البارزة ، بجميع ما عنده من
وسائل ومواهب وطاقات ، وقد اجتمع عنده جمع من الانبياء
وذوى الكفاءات النادرة يعينونه على هذا الباطل ، ولم يكن
هناك ضعف أو هرم فى الدولة يشير الى زوالها ، أو يدل على

(١) ومن شاء فليقرأ كتابنا « رجال الفكر والدعوة فى
الاسلام ليدرك صدق ما نقول .

ثورة يتأجج أوارها ، وكان العلم والمنطق والقياس الظاهر ، لم يكن يصدق أنه سيثقل هناك تغيير سار أو تحول بارز فى الحكومة والشعب .

هنالك قيض الله أحد عباده للإصلاح والتجديد ، فحمل راية الثورة بمفرده ، وبدأ فى ثورة داخلية بقوة إيمانه وبقينه ، وعزمه وتوكله ، وروحانيته وإخلاصه ، حتى أصبح كل وارث للحكم المغولى أحسن من سابقه ، ثم تربع أخيراً على هذا العرش السلطان محى الدين « أورنگ زيب عالمير » الملك الفاضل الصالح المسلم الغيور الذى يندر نظيره فى تاريخ الحكومات الإسلامية ، وكان رائد هذه الثورة المباركة ، إمام الطريقة المجددية الشيخ أحمد السرهندى « (١) » .

وكذلك نرى أن الذين هبوا لمقاومة القوى الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر على الأقل إلى منتصف القرن العشرين ، وأشعلوا فى القلوب شعلة الجهاد ، ونفخوا فى المجتمع الإسلامى روح الكفاح والثورة ، والشجاعة والاستماتة ، والحرية والاستقلال ، والأبثار والتضحية ، والحماسة واليقين ، والتفانى

(١) العبارة التى بين الهلالين مأخوذة من كتاب « ربانية لا زهبانية » فصل « بطولة وكفاح ، لا بطالة واستسلام » .

والمغامرة ، وأعجزوا القوى الغربية الكبرى — بعدد ضئيل من رجالهم وعتاد قليل من امكانياتهم — وسدوا عليها الطرق ، وضيقوا عليها الخناق ، وأنقذوا أوطانهم من أن تظل لقمة سائفة وفريسة طيعة لها لدة لا يعلمها الا الله ، كلهم كانوا من طراز هؤلاء الريانيين الذين جمعوا بين مجاهدة النفس وجهاد الأعداء ، وكما جاء فى وصف سلفهم وسابقيهم « بالليل رهبان وبالنهار فرسان » .

الأمير عبد القادر الجزائرى :

« ومنهم الأمير عبد القادر الجزائرى الذى رفع راية الجهاد فى الجزائر مقابل الفرنسيين ، وأطلق الشرارة الأولى فيها ولم يهدأ له بال من عام ١٨٣٢ الى ١٨٣٧ م حتى أقض مضاجع الفرنسيين ، وقد أتى مؤرخو الغرب على شجاعته ، وعدله ورفقه ، وعلمه وفضله ، يتحدث عنه الأمير شكيب أرسلان ، فيقول :

« وكان المرحوم الأمير عبد القادر متضلعا من العلم والأدب ، سامى الفكر ، راسخ القدم فى التصوف ، لا يكتفى به نظرا حتى يمارسه عملا ، ولا يحن اليه شوقا ، حتى يعرفه ذوقا ، وله فى التصوف كتاب ، سماه « المواقف » فهو فى هذا المشرب من الأفراد الأفاضل ، ربما لا يوجد نظيره فى المتأخرين » (١) .

(١) « حاضري العالم الاسلامى » ج ٢ ، ص ١٧٣ .

ويذكر كيف كان يقضى وقته ، وكيف كانت أيامه فى دمشق

فيقول :

« وكان كل يوم يقوم الفجر ، ويصلى الصبح فى مسجد قريب من داره فى محلة العمارة لا يتخلف عن ذلك الا لمرض ، وكان يتهدد الليل ويمارس فى رمضان الرياضة على طريقة الصوفية ، وما زال مثالا للبر والتقوى والاخلاق الفاضلة ، الى ان توفى رحمه الله سنة ١٨٨٣ م « (١) .

شيوخ الطريقة النقشبندية فى

ساحة الجهاد والاصلاح :

وفى عام ١٨١٣ م ، لما هجم الروس على طاغستان (٢) ، واستولوا عليها ، لم يقم فى وجههم الا هؤلاء الشيوخ النقشبنديون ، وحملوا راية الجهاد ، وطالبوا بأن يقضى فى قضايا المسلمين بالشرع الاسلامى ، ويكونوا احرارا فى تطبيق الشريعة فى معاملاتهم . يقول المرحوم الامير شكيب ارسلان :

« وتولى كبر الثورة علماءهم وشيوخ الطريقة النقشبندية

(١) « حاضر العالم الاسلامى » ج ٢ ، ص ١٧٣ .
(٢) طاغستان تقع على الساحل الغربى من بحر الخزر ، اكثر أهلها مسلمون اذا ضمت اليها القفقاز الشمالى يتراوح عدد المسلمين بين المليونين وثلاثة ملايين نسمة .

المنتشرة هناك ، وكانهم سبقوا سائر المسلمين الى معرفة كون ضررهم هو من امرائهم الذين اكثرهم يبيعون حقوق الامة بلقب « ملك » او « أمير » وتبوء كرسى وسرير ، ورفع علم كاذب ولذة فارغة باعطاء أوسمة ومراتب ، فثاروا منذ ذلك الوقت على الأمراء وعلى الروسية حاميتهم ، وطلبوا ان تكون المعاملات وفقا لأصول الشريعة ، لا للعادات القديمة الباقية من جاهلية أولئك الأقوام ، وكان زعيم تلك الحركة « غازى محمد » الذى يلقبه الروس بـ « قاضى ملا » وكان من العلماء المتبحرين فى العلوم العربية ، وله تأليف فى وجوب نبذ تلك العادات القديمة المخالفة للشرع ، اسمه : « اقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغستان » .

وفى عام ١٨٣٢ م استشهد الغازى محمد ، وحمل لواءه خليفته « حمزه بك » وجاء بعده الشيخ « شامل » وتسلم زمام القيادة ، وكان كما يقول المرحوم الأمير شكيب : « صورة للأمير عبد القادر الجزائرى ، وكان قد انتقل من المشيخة الى الامارة » ، واستمر الشيخ شامل فى جهاده ضد روسيا نحو ٣٥ سنة ، وانتصر عليهم فى عدة معارك انتصارا باهرا ، وكان الروس قد أخذهم الرعب بشجاعته وشهامته وانسحبوا له عن بلادهم

باستثناء بعض الولايات ، وقد فتح الشيخ جميع حصونهم وقلاعهم
فى عام ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ م ، ونال غنيمة كبيرة من الاسلحة
والذخيرة ، وهناك ركزت الحكومة الروسية كل عنايتها على
طاغستان ، وزحفت اليها بخيلها ورجلها ، وأنشد الشعراء قصائد
تثير النخوة ، وسيقت اليها العساكر اثر العساكر ، ولكن الشيخ
شامل استمر فى المقاومة والجهاد عشر سنوات اخرى ، ولم
يضع سلاحه الا فى عام ١٨٥٩ م .

السنوسية ، وجهادها الأكبر فى افريقيا :

وأروع مثال لهذا الجمع بين المجاهدة والجهاد ، سيدى أحمد
الشريف السنوسى ، ولقد قدر الايطاليون أنهم سيفتحون برقة
وطرابلس فى خمسة عشر يوما ، ولكن القواد الانجليز الذين
مارسوا الحرب فى المستعمرات ، وفى الصحارى ، عارضوا هذا
الرأى وقالوا : انه يدل على عدم تجربتهم فى هذا المجال ، فقد يمكن
أن تستغرق هذه الحروب ثلاثة أشهر ، فماذا حدث ؟ لقد استمر
القتال الى ١٣ سنة كاملة ، ولم يستطع الايطاليون فى هذه المدة
الطويلة أن يخمدا نار الثورة فيها ، والفضل فى ذلك كله يرجع
الى الفقراء السنوسيين ، وامامهم وشيخ طريقتهم : سيدى أحمد
الشريف ، وقد صدق الأمير شكيب أرسلان اذ قال : « ان
بطولة السنوسيين دلت على أن الطريقة السنوسية هى عبارة عن

حكومة بأسرها ، بل وهنا عدة حكومات لا تملك من الوسائل
ما يملكها رجال هذه الطريقة .

ويصف الأمير شكيب ، سيدى أحمد الشريف ، فيقول :
« وقد لحظت منه صبورا ، قل أن يوجد فى غيره من الرجال ،
وعزما شديدا تلوح سيماؤه على وجهه ، فبينما هو فى تقواه
من الأبدال ، اذا هو فى شجاعته من الأبطال » .

السيد مهدى السنوسى وعنايته

الفائقة بالفتوة والفروسية :

ان الصور الرائعة التى عرضها الأمير شكيب للزاوية
السنوسية فى صحراء افريقيا الكبرى ، صورة جذابة مثيرة ، فيها
دروس وعبر ، وفيها مسحة من جمال ساحر أخاذ ، ان هذه
الزاوية كانت تقع فى « واحة الكفرة » وكان يديرها عم سيدى
أحمد الشريف وشيخه ، السيد المهدى ، وكانت أكبر مركز روحى
ومخيم حربى — بلا نزاع — فى افريقيا .

يقول الأمير شكيب رحمه الله :

« فقد كان السيد المهدى يهدى هدى الصحابة والتابعين ،
لا يقتنع بالعبادة دون العمل ، ويعلم ان أحكام القرآن محتاجة
الى السلطان ، فكان يحث اخوانه ومريديه دائما على الفراسة

والرماية ، ويبث فيهم روح الأتفة والنشاط ، ويحملهم على الطراد والجلاد ، ويعظم في أعينهم فضيلة الجهاد ، وقد أثمر غراسه وعظه في مواقع كثيرة ، لا سيما في الحرب الطرابلسية التي أثبت بها السنوسية أن لديهم قوة مادية تضارع قوة الدول الكبرى ، وتضارع أعظمها جبروتا وكبرا ، وليست الحرب الطرابلسية وحدها هي التي كانت مظهر شجاعة السنوسيين ، بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيين في مملكة « كانم » ومملكة « واداي » من السودان ، استمرت من سنة ١٣١٩ ، الى سنة ١٣٣٢ هجرية .

« وحدثني السيد أحمد الشريف أن عمه المهدي كان عنده خمسون بندقية خاصة به وكان يتعهدا بالمسح والتنظيف بيده ، لا يرضى أن يمسحها له أحد من أتباعه المعدودين بالمئات ، قصدا وعمدا ، ليقنطدى به الناس ، ويحتفلوا بأمر الجهاد وعدته وعقابه : وكان نهار الجمعة يوما خاصا بالتمريينات الحربية من طراد ورماية ، وما أشبه ذلك ، فكان يجلس السيد في مرقبة عال ، والفرسان تنقسم صفين ، ويبدأ الطراد ، قبالا ينتهي الأخر في آخر النهار ، وأحيانا يضعون هدفا ، ويأخذون بالرماية ، حتى كنت ترى طلبة العلم والمريدين أكثرهم فرسانا ورماة ، لكثرة ما كانوا يأخذهم بهذا المرح ، وكان يجيز الذين يسبقون في الطراد أو يقرطسون في الرمي ، بجوائز ذات قيمة ، ترغيبا لهم في فضائله .

الحرب ، كما انه كان يوم الخميس من كل اسبوع مخصصا عندهم للشغل بالأيدى ، فيتركون فى ذلك اليوم الدروس كلها ويشتغلون بأنواع المهن ، من بناء ، ونجارة ، وحدادة ، ونساجة ، وصنافة ، وغير ذلك ، لا تجد منهم ذلك اليوم الا عاملا بيده ، والسيد المهدي نفسه يعمل بيده لا يفتر ، حتى ينبه فيهم روح النشاط للعمل .

وكان السيد المهدي ، وابوه من قبله ، يهتمان جد الاهتمام بالزراعة والغرس ، تستدل على ذلك من الزوايا التى شادوها ، والجنان التى نسقوها بجوارها ، فلا تجد زاوية الا لها بستان أو بستانان ، وكانوا يستجلبون أصناف الأشجار الغريبة الى بلادهم من أقاصى البلدان . وقد دخلوا فى الكفرة ، وجغوب ، زراعات وأغراسا لم يكن لأحد هناك عهد بها ، وكان بعض الطلبة يلتمسون من السيد محمد السنوسى أن يعلمهم الكيمياء ، فيقول لهم : « الكيمياء تحت سكة المحراث » وأحيانا يقول لهم : « الكيمياء هى كد اليمين وعرق الجبين » وكان يشوق الطلبة والمريدين الى القيام على الحرف والصناعات ، ويقول لهم جملا تطيب أخواطهم وتزيد رغبتهم فى حرقهم ، حتى لا يزدروا بها أو يظنوا أن طبقتهم هى أدنى من طبقة العلماء ، فكان يقول لهم : « يكفيكم من الدين حسن النية ، والقيام بالفرائض الشرعية ، وليس غيركم بأفضل منكم » وأحيانا يدمج نفسه بين أهل الحرف ، ويقول لهم ،

وهو يشتغل معهم : « يظن أهل الوريقات والسبيحات أنهم يسبقوننا عند الله ، لا والله ما يسبقوننا » (١) .

الشيخ حسن البنا ، ونصيب التربية الروحية

فى تكوينه ، وفى تكوين حركته الكبرى :

أما الحركات الإسلامية المعاصرة ، فقد برزت فيها حركة « الإخوان المسلمين » ، وهى أعظمها تنظيماً وقوة ، وهى الحركة التى حملت راية الإصلاح والجهاد فى الزمن الأخير ، ودعت الى العودة للإسلام من جديد فى العالم العربى ، وأكبر ميزاتنا أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة ، ولها تأثير عميق بارز ملموس فى الحياة العامة فى الأقطار العربية كلها ، وكانت شخصية مؤسسها وقائدها الأول شخصية قوية ساحرة تجمع بين عدة جوانب ، أنه كان عملاً متواصلاً وسعيًا دائماً ، وهمة لا يتخللها فتور ، وأمل لا يرتقى اليه يأس ، جندياً ساهراً على الثغر لا يناله التعب والعناء ، وكان وراء كل هذه الخصائص والسمات عامل قوى لا يستهان به ، وهى تربيته الروحية ، وسلوكه ورياضته ، أنه كان فى أول أمره — كما صرح بنفسه — فى الطريقة الحسافية الشاذلية ، وكان قد مارس أشغالها وأذكارها ، وداوم عليها مدة (١) ، وقد حدثنى كبار رجاله

(١) حاضر العالم الإسلامى ج ٢ ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٢) « مذكرات الدعوة والداعية بقلم الإمام الشهيد الشيخ

حسن البنا . انظر الطريقة الحسافية » .

، وخواص أصحابه أنه بقى متمسكا بهذه الأشغال والأوراد الى آخر عهده ، وفى زحمة أعماله ، وقد تحدث عن حركته فى المؤتمر الخامس المنعقد فى ١٣٥٧ هـ ، وبين خصائصها ، فقال : « دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » (١) .

علماء الهند وشيوخها فى ساحة الحرب

وميدان الإصلاح والكفاح :

أما فى الهند فترى هناك مزجا غريبا ، واجتماعا نادرا من هذه الريانية الاسلامية ، والقيادة الجهادية ، يقل نظيره فى العالم الاسلامى ، أما السيد أحمد الشهيد وحركته ورجاله ، فحدث عن البحر ولا حرج (٢) ، فقد بلغ جمعه العجيب بين هذا

(١) رسالة المؤتمر الخامس : ١٨ - ١٩ ، ويراجع للتفصيل لمعرفة تكون شخصية الشهيد الخاص كتاب « التربية الاسلامية ومدرسة حسن البنا » القيم ، للدكتور يوسف القرضاوى ، طبع مكتبة وهبه .

(٢) ومن أراد التفصيل فعليه بكتبتنا « اذا هبت ريح الايمان » و « الامام الذى لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف » وسيرة « سيد أحمد شهيد » (باللفة الأردنية) و « سيد أحمد الشهيد » باللفة الانجليزية بقلم الأستاذ محى الدين عضو المجمع الاسلامى العلمى بلكنؤ ، و « سيد أحمد شهيد » باللفة الأردنية بقلم الكاتب السلفى الكبير المرحوم غلام رسول مهر .

وذاك ، وتفوقه فى كلا الجانبين الى حد التواتر ، وأصبح من المسلمات فى هذه البلاد ، واذا اطلعنا على احواله وعلى احوال أصحابه وعلى تاريخهم ، علمنا انه كان نفحة من بقايا النفحات فى القرن الأول ، هبت فى القرن الثالث عشر وأحيت الأرض بعد موتها، وبرهنت على أن الايمان والتوحيد والصلة الصحيحة بالله ، والتربية والسلوك على منهاج النبوة ، لا يزال يصنع العجائب ، وأن التضحية والايثار والفداء من غير روحانية صافية مشرقة ، وعاطفة واصلاح قوية راسخة ، وحلم لا يتحقق ، وغاية لا تنال .

وكان من أتباعه وخلفائه أمثال السيد نصير الدين ، ومولانا ولاية على العظيم آبادى ، على قدمه من هذا الجمع النادر العجيب، وتبعهم مولانا يحيى على ، ومولانا أحمد الله الصادقپورى ، ومولانا محمد جعفر التهانسرى ، ان أحاديث جهادهم ومحتهم ، وصبرهم على المكروه ، واحتمالهم الشدائد تذكرنا بمحنة الامام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقد استمر هؤلاء الشيوخ من بعدهم فى الجهاد فى سبيل الله ، فرأينا الشيخ الكبير الحاج امداد الله المهاجر المكى ، والشيخ الحافظ ضامن الشهيد ، والشيخ محمد قاسم النانوتوى — مؤسس دار العلوم ديوبند — ومولانا رشيد أحمد الكنكوهى ، فى ساجة

« شاملى » (١) يقاتلون الانجليز ، ويستشهد الشيخ ضامن فى
ساحة الجهاد ، ويضطر الشيخ امداد الله الى الهجرة ، ويضطر
الشيخ النانوتوى والشيخ رشيد احمد الكنكوهى الى التستر والخفاء
مدة من الزمن ، وكان الشيخ احمد الله شاه ، والشيخ لياقت على
من المشايخ الكبار الذين قادوا الجيوش لقتال الانجليز فى ثورة
١٨٥٨ م الكبرى ، وتولوا كبرها ، واستشهد بعضهم وقتل
بعضهم شنقا .

ثم جاء بعدهم الشيخ محمود حسن الديويندى — الذى لقب
بحق « شيخ الهند » — وأعد عدته لجهاد الانجليز ، وأراد انشاء
حكومة مستقلة فى الهند ، فيها الأمر وانهى للمسلمين ، ودفعه
طموحه وهمته الى الاتصال بتركيا ، والانسجام معها على خط
الثورة والجهاد ، ان الرسائل الحريية ، والاجتماع بأنور باشا ،
وامتقاله فى جزيرة « مالطة » كل ذلك يدل على علو همته
ونشاطه الدائب المستمر . . وكان على قدمه تلميذه النجيب الشيخ
المجاهد حسين أحمد المدنى رحمه الله ، الذى أبلى بلاءا حسنا فى
قيادة الثورة على الانجليز وحركة الاستقلال فى الهند ، وصدق الله
العظيم : « من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم

(١) قرية جاحمة فى مديرية « مظفرنكر » فيما بين دهلى
و « سهارنفور » فى ولاية « أترابراديش » .

من قضي نجه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا «(١) .

التاريخ يحكم حكما حاسما :

ان التاريخ فى الحقيقة موضوع واقعى حساس رقيق ،
الشعور ، انه لا يؤمن بالحديث المرجم ، او البت والابرام اللذين
لا يستندان الى شهادة ووثائق تاريخية ، وأرقام وأعداد صحيحة
دقيقة ، انه — لا يحابى انسانا ولا يمتنع من اصدار حكمه الحر
الجرىء الصريح ، لان المحكوم عليه كاتب كبير ، او داعية شهير .

واجب « اقامة الدين » فى ضوء الشريعة والتاريخ :

ولا نجد هناك خلافا — فيما أعلم — فيما بين علماء الاسلام ،
فيما يتصل بالسعى وراء الحصول على سلطة وقوة تمكنان من تطبيق
حاكمية الله على البشر تطبيقا عمليا ، وتنفيذ احكامه وحدوده فى
المجتمع البشرى ، حتى لا تعود هناك قوة او سلطة او نظام او طاعة
وحكومة معارضة توقع الناس فى صراع وفتنة تشير اليها الآية
الكريمة :

« وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »(٢)

كما يجب الحصول على قوة ومكانة تملك بها الجماعة المسلمة

(١) العبارة التى بين القوسين منقولة من فصل « بطولية
وكفاح لا بطالة واستسلام فى كتابنا « ربانية لا رهبانية » .
(٢) سورة الأنفال : ٣٩

إلقيام بالأمر والنهى ، ولا تكفى بمجرد الدعوة اللسانية والترغيب
البياني فحسب ، ولذلك آثر القرآن ولسان الوحي التعبير بكلمة
« الأمر » و « النهى » — على سعة اللغة العربية وغناها — وهما
تتطلبان شيئاً من القوة والعلو والغلبة حتى يكون الانسان فى
موقف الأمر والنهى .

قال الله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون
عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (١) .

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ،
وينهون عن المنكر » (٢) .

والحصول على هذه السلطة والقوة ، والجد والاجتهاد فى
سبيله ، مطلوب من المسلمين بالآيات القرآنية والنصوص القطعية ،
ولا يجوز الإهمال فيه والتقصير عنه فى حال من الأحوال ،
وقد زخر القرآن والحديث بالتحذير من النتائج الوخيمة
المشؤومة المترتبة على ترك هذا الركن الإسلامى العظيم ، فى صورة
انطماس معالم الدين وزوال شعائره ، وذل المسلمين وهوانهم

(١) سورة آل عمران ١١٠

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤

وعبوديتهم ، والغاء الحدود الالهية والأحكام الشرعية ، والفوضى
والاضطراب فى الحياة ، والحرب من النصر الالهية والسعادة
الدينية والدينية ، ومن أجل ذلك أولت الشريعة الاسلامية
اقامة نظام الامارة والخلافة أهمية بالغة حتى جعلت الحياة بدونها
حياة « جاهلية » وجعلت الموت فى هذا الوضع. « ميتة جاهلية » ،
ولأمر ما عنى الصحابة رضى الله عنهم بأمر الخلافة واختيار خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير للمسلمين يجمع شملهم ويتولى
أمورهم ، على اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدموه على
كل أمر ، وفى سبيل الأخذ بها الى النهج الصحيح واعادتها الى
سيرتها الأولى ، جاهد سيدنا على كرم الله وجهه جهاده الشاق
الطويل ، وفى سبيل اعادتها الى نصابها قاتل حسين بن على حاكم
المسلمين يزيد بن معاوية بن ابي سفيان — رضى الله عنهما — القتال
الذى استشهد فيه ، وما زال فقهاء الاسلام وأولوا العزم من العلماء
والمصلحين يرفعون راية الجهاد ويقودون الجيوش ، ويبذلون
ما عندهم من نفس ونفيس ، فى سبيل الجهاد ، واقامة الحكم
الاسلامى ، وقد تغافل عنه العالم الاسلامى فأصبح اليوم ذليلا مهانا
لا قيمة له ولا رهبة ، وأصبح قصعة تداعت عليها الأكلة — من
الحكومات والشعوب — .

لكن ذلك على عظم خطره وجلالة شأنه لا يخرج من أن يكون

وسيلة عظيمة ، لغاية عظيمة يعرفه الذين درسوا تعاليم الكتاب
والسنة دراسة-دقيقة عميقة ، وأمتازوا بالرسوخ في العلم والأطلاع
الواسع الدقيق على السيرة النبوية وعلى أخبار الصحابة ، وكان
« ذوقهم العلمى » ومنهجهم الفكرى ، وأسلوبهم الدعوى كله مبنيا
من صميم التعاليم النبوية ، ولم يكن صدى أو رد فعل لما كان يروج
به عصرهم من حركات هدامة ، أو دعوات مضللة ، أو جاهلية
عصرية .

ويجدر بى أن أنقل هنا ما قلته فى الترجمة الأردية لكتابنا
« النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن » بمناسبة الحديث عن هذه
الظلال التى تحدثها « ردود الفعل والتفاعل فى كتابات بعض
الكتاب الاسلاميين المعاصرين » .

« ولك ان ترى ظلال ذلك التفاعل — ولا يمكن ان
تراه فى بعض الأحيان بدون استخدام المكبرة — فى كتابات كثير
من الكتاب والدعاة الاسلاميين المعاصرين ، فحينما لاحظوا من
نجاح باهر مطرد للفلسفات الغربية والسيطرة السياسية الأوربية
فى جانب ، وتدهور المسلمين وتبليل المجتمع الإسلامى واضطرابه
أو وقوعه تحت حكم الأجانب فى بلادهم فى جانب آخر ، أثار
ذلك فيهم النخوة الإسلامية ، ونبض فيهم العرق القومى

الإسلامي ، ولجأوا الى دراسة الإسلام من جديد ، والى تحدى هذا الوضع المزرى ، وبالتالي الى تقديم فلسفة اسلامية ونظام اسلامى للحياة مقابل تلك الفلسفات والنظم ، وقد غشيت هذه الظلال السلبية كتاباتهم وتعبيراتهم وأساليب تفكيرهم ، يراها كل من أتاحت له فرصة دراسة الكتاب والسنة دراسة مباشرة مجردة عن التأثيرات الخارجية والثقافات الأجنبية ، ويدرك مدى تأثير هذه الفلسفات والنظم الحديثة وسيطرتها القوية على هذه الكتابات ، والحركات والمنظمات ، والمدارس الفكرية الحديثة .

أما الأولون فقد تجلّى حديثهم وكتاباتهم هذا الفرق بين «الغاية» و «الوسيلة» وتجلّى لمن جالسهم أو عرفهم عن كثب أو تعمق فى قراءة ما صدر عن أقلامهم ، أن الرائد الذى يحذوهم والدافع الذى يدفعهم هو الايمان والاحتساب ، وأن المقياس فى جميع المحاولات والجهاد فى سبيل الحصول على القوة والسلطة ، واقامة الخلافة والامارة ، انما هو ابتغاء رضا الله ، والرغبة فى الانتساء بأسوة النبوة ، والامتثال للأمر النبوى ، واعلاء كلمة الله ، وتطبيق اركان الاسلام ، وأحياء العلوم الدينية ، واقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليس غير .

وقد عرف حكيم الاسلام احمد بن عبد الرحيم ونى الله
الدهلوى « الخلافة » فى كتابه الفريد « ازالة الخفاء عن خلافة
الخلفاء » بالكلمات الآتية :

« هى الرئاسة العامة فى التصدى لاقامة الدين ، باحياء العلوم
الدينية ، واقامة اركان الاسلام ، والقيام بالجهاد وما يتعلق به
— من ترتيب الجيوش ، والفرض للمقاتلة ، واعطائهم من الفيء —
والقيام بالقضاء ، واقامة الحدود ، ورفع المظالم ، والأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر ، نيابة عن النبى صلى الله عليه
وسلم» (١) .

ويقول من خلال تفسيره لهذه العبارة المذكورة اعلاه :

« فلو أردنا ان نعبر عن هاتى الشعب والشئون (التى تتضمنها
الخلافة) وعن الجزئيات بالكليات ، وعن الكليات بكلى واحد
يشمل كلها ويكون كجنس أعلى لهذه الأنواع والأجناس جميعها ،
لقلنا : انها « اقامة الدين » فهى تتضمن جميع الكليات التى تدخل
فى نطاقها جميع الجزئيات (٢) .

ويقول فى صراحة :

« ونصب الخليفة واجب بالكفاية على المسلمين الى يوم

(١) ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، ص ٢ طبعة أكاديمية

سهيل — لاهور (باكستان) .

(٢) نفس المصدر .

القيامة» (١) .

ثم يقول بعد تقديم الدلائل الشرعية على ذلك :

ان الله تعالى جعل القيام بالجهاد ، وإل قضاء ، و احياء العلوم الدينية ، واقامة اركان الاسلام ، وذود الكفار عن جورة الاسلام ، مرضا بالكفاية ، وهذه الأمور كلها لا يمكن أن تتحقق بدون نصب « الامام » ومقدمة الواجب واجبة (٢) (يعنى انه اذا كان هناك واجب لا يمكن أن يتحقق الا بعمل آخر ، فاذا يجب القيام بهذا العمل أيضا) .

وأرى لزاما على أن أؤكد بهذه المناسبة أن كلمة «اقامة الدين» لا يجوز أن تجعل مترادفة لجرد السعى وراء تأسيس « الحكومة الالهية » انها أوسع وأجمع معنى ومنهوما مما يستخدم فى كتابات كثير من الكتاب الاسلاميين المعاصرين ، فد « اقامة الدين » تجمع بين جميع تلك الشعب التي أباتها حكيم الاسلام ولى الله فى كتابه ، ووردت هذه الكلمة فى موضع واحد من القرآن الكريم ، وذلك فى الآية ١٣ من سورة الشورى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا

(١) المصدر نفسه ، ص ٢

(٢) المصدر السابق

اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ،
ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي
اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب « (١) » .

وسياق الآية تدل دلالة مؤكدة على ان المراد به هو الدين
بأجزائه وجميع تعاليمه — بما فيها العقائد والعبادات والمعاملات —
وليس المراد هو مجرد الخلافة والحكومة ، والتمكن من السلطة
والحاكمية ، يقول العلامة الآلوسى فى تفسيره الشهير « روح
المعاني » عند تفسير قوله تعالى : « ان اقيموا الدين » :

« اى دين الاسلام الذى هو توحيد الله ، وطاعته ،
والايمان يكتبه ورسله وبيوم الجزاء ، وسائر ما يكون العبد
به مؤمنا ، والمراد باقامته تعديل اركانه ، وحفظه من ان يقع
فيه زيغ ، والمواظبة عليه « (٢) » .

وجاء بعد حكيم الاسلام الشيخ ولى الله الدهلوى ، حفيده
النايغة العلامة محمد اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله ، فوضع
فى هذا الموضوع كتابا مستقلا باسم « منصب الامامة » (٣) وهو
كتاب فريد من بعض النواحي فى المكتبة الاسلامية العالمة :

(١) سورة الثورى : ١٣

(٢) « روح المعاني » ج ٧ ، ص ٥١٣ .

(٣) الكتاب بالفارسية .

وينقطع نظيره في قوة استدلاله ، وعرضه ، وإشارات الدقيقة
ولفتاته البارعة .

وقد عني عناية فائقة بهذا الركن الإسلامي الأهم الإمام السيد
أحمد بن عرفات الشهيد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وقام
بمحاولة الحصول على هذه السلطة ، وتهيئة الجو لذلك ، واتخاذ
الوسائل والأسباب له ، محاولة منسقة منظمة على أوسع نطاق ،
لا يقوم بها إلا المؤمن الأملئ ، والقائد العصامي ، والإمام الديني
الذي هياه الله لهذا العمل العظيم ، ودعا إلى ذلك دعوة قوية ،
بحماس وعزيمة ، وإخلاص وهمة ، لا نجد نظيره في الماضي
القريب ولا فيما بعده في شبه القارة الهندية على أقل تقدير ،
وقد صدق مترجمه الشهر الأستاذ غلام رسول مهر حينما قال في
كتابه « سيد أحمد شهيد » (١) :

« هذه صفحة من صفحات تاريخ ذلك العهد ، الذي يوصف
بعهد انحطاط المسلمين في تاريخ شبه القارة الهندية — الهند
وباكستان — ولكن لا أخال أن هناك رجلا ينشد الحق في مظانه ،
ويدرك الصدق على حقيقته ، يتردد في الاعتراف بأن عهدا من عهود

(١) كتاب موسع في ترجمة الإمام أحمد الشهيد في أربعة
مجلدات ، مجموع صفحاتها ١٩٢١ (بالأردية)

المسلمين الزاهرة المتقدمة(١) لم يكن أزهرر واليق بالافنخاز
— مبدئيا — من هذا العهد ، ولا يجوز الحكم على محاولة بالنتائج
والمكاسب ، وانما المعول فى ذلك على عزم الجهاد وهمة العمل
والثبات فى طريق الحق . وهل يمكن احدا أن يقدم من تاريخ
عهدنا الراقية نماذج لهذه العزيمة والهمة والاستقامة التى لم
يقصد صاحبها بها الا الدين والدين وحده»(٢) .

والى القراء الكرام مقتطفات من رسائله التى أرسلها الى
أمرء المسلمين وملوكهم ، وكبار العلماء والمشايخ فى شبه القارة
الهندية ، التى تدل على غايته المنشودة ، وعاطفته الحقيقية ، وعلى
شعوره الرقيق الفياض ، الذى كان العامل الأساسى فى جده
وجهاده ، ودعوته واجتهاده ، وعلى أن الغرض الذى كان
يتوخاه من وراء محاولاته كلها ، انما هو الامتثال للأمر الالهى
وتحقيق الأمر الربانى ، ونيل رضا الله ، وادالة الاسلام من
الجاهلية ، والانتصار للاسلام ولأهله ، ورد اعتبار
المسلمين ، واحياء ما مات من السنن ، وما اندرس من معالم
الاسلام ، وما انطمس من شعائر الدين ، وانقاذ البلاد الاسلامية

(١) بعد القرون المشهود لها بالخير، طبعا (المؤلف)

(٢) «سيد أحمد شهيد» طبعة شركة شيخ غلام على وأولاده،

لاهور باكستان

من الأيدي المعتصبة الخرقاء ، وعلى أنه إنما بعثه على هذه الخطوة الجريئة تجزيبته وإيمانه بأن إقامة الدين منوطة بالسلطة ، وأن تنفيذ الأحكام الشرعية رهين بالحكم والسلطان ، وإذا فانه رهن إشارة مولاه وطوع أمره ، ليس غير ، يقول فى رسالة له الى رؤساء حدود الهند الشمالية وعلمائها :

« ان هذا الفقير — يعنى نفسه — ماض فى الطريق الرضى لدى مولاه بغاية من الطمأنينة والفرح والسرور ، وقد اعتمد على المواعيد الالهية(١) ، وجعل طاعة أمر الله موضع عنايته ونصب عينيه ، ونبذ ما سوى الله وراءه ظهريا ، وأطبق عينيه عما حوله »(٢) .

ويقول فى هذه الرسالة فى السطور الآتية :

« نحن عباد الله ، ومن أمة رسول الله ، وندعى أننا مسلمون ومن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما رأينا أن القرآن ينطق بهذا المعنى (أى الجهاد) وآمنا بأن الرسول صادق ، اضطرننا أن نشد الأزر ونشمر عن ساق الجد لتحقيق أمر الله ، وأن نركب

(١) يعنى مواعيد النصر الالهية والرضا الالهى والأجر والثواب على هذا العمل ، التى جاء ذكرها فى الكتاب والسنة .
(٢) « سيرة سيد أحمد شهيد » (بالأردية) بقلم كاتب هذه السطور ، الجزء الأول ص ٣٨٦ .

متن السفر والهجرة ، اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .
ويفصح عن حوافزه وعواطفه الأصيلة في رسالة الى
الملك سليمان والى « شترال » ويصرح بأنه يبتغى علوا في
الأرض ولا فسادا ولا يثنوبه غرض نياسى ، أو طموح شخصى
وانما يرمى الى اجراء الأحكام الالهية واحياء السنن النبوية ،
وان يأخذ الناس بأحكام الشريعة والسنة السننية فى باب
الحكم والقضاء ، يقول :

« هذا الفقير لا يهمله جمع المال والثروة ، ولا يطمح فى الحكم
والسلطة ، واذا كان هناك أحد من الاخوان المؤمنين يقوم
باسترجاع البلاد من أيدي الكفار والمشركين ، ويعمل على
اجراء احكام رب العالمين ، ونشر سنة سيد المرسلين ، والعمل
بقوانين الشريعة فى الحكم والقضاء، فان هذا الفقير قد نال شرضه،
وأصاب رميته» (٢) .

وحينما يضغط على هذه الناحية يأخذ منه الحماس الايمانى
كل مأخذ ، ويجيش اخلاصه ، وتتدفق قريحته ، وتنطلق قيثارة
عاطفته المؤمنة ، فيخط قلمه أمثال الكلمات الآتية الدافقة بالقوة ،
يقول فى رسالة وجهها الى سلطان محمد خان وسيد محمد خان من

(١) نفس المصدر ، ص ٣٨٧ .

(٢) « سيرة سيد أحمد شهيد » ص ٣٩١ .

ولاية « بشاور » ورؤسائها :

انى لا اقيم لتاج « فريديون » (١) وعرشى « سـكندر »
وزن شعيرة ، ولا احسب حساسا ملك كسرى وقيصر ، نعم !
اتمى ان تكون احكام رب العالمين سارية المفصول فى معظم افراد
بنى آدم ، بل فى جميع اقطار العالم ، دون قوّة تعارضها أو سلطة
تمانعها ، سواء اتم ذلك بيدي أو بيد غيرى» (٢) .

ودراسة رسائله وافكاره تدل دلالة واضحة على ان الباعث
الأكبر الحقيقى على الجهاد والاجتهاد ، والنشاطات والممارسات ،
التي كان يقوم بها ، هو شعوره الاسلامى بأن جزءا كبيرا من
الشريعة الاسلامية والقوانين الالهية ، سيبقى معطلا ملغى ، بل
يعود غير ممكن التطبيق والاجراء ، اذا لم تكن حكومة تقف من ورائه ،
وتتولى تطبيقه وتنفيذه ، ويصير المسلمون اذا مغلوبى الامر ،
مسلوبى الارادة ، يصبحون قطيعا من غنم أو لحما على وضم ،
يشاهدون بأعينهم ان المساجد تهان وتهدم ، وشعائر الدين تمحى
وتزال ، ولا يملكون من الامر شيئا .

يقول فى رسالته الى الرؤساء المشار اليهم :

-
- (١) ملك كبير من ملوك ايران القديمة .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

« ان الأحكام الدينية التي تتعلق بالحكومة تفلت من الأيدي
بتماما ، اذا لم تكن حكومة ، وفساد أمور المسلمين ، وما يقع من
تعرض المسلمين لأنواع الذل والاضطهاد والنكبة على يد الكفار
المتمردين، ومن انتهاك للشعائر المقدسة، وهدم للمساجد الإسلامية،
كل ذلك ظاهر مشاهد ملهوس » (١) .

محاولات اقامة الدين مقرونة

دائما بمراعاة الحكمة وفقه الدين :

لكن هذا الركن - اعنى محاولة تمكين الاسلام وجعله قوة
حاكمة ، لها الأمر والنهى - من أركان « اقامة الدين » ليس كقلب
حديدى لا نعومة فيه ولا مرونة ، ولا يمكنه أن يتوسع فى
اى حال من الأحوال ، فالذين تثق باخلاصهم ، ورسوخهم فى
العلم ، وتفقههم فى الدين ، وتشهد لهم بذلك صفحات ناصعة فى
التاريخ ، ودلائل وشواهد لامعة فى صفحات الكون ، ونعلم
أنهم لم يكونوا من أهل « الرخصة » بل كانوا من رجال « العزيمة »
فلا بد أن نعترف بأنهم لم يتخذوا من وسائل هذا العمل العظيم
ومناهج تحقيقه ، الا ما كانوا يرونه منسجما مع الأوضاع التى
كانوا يعيشونها ، ولم يألوا جهدا فيما كانوا يستطيعونه ، لأن
المقصود هو النتيجة لا الوسيلة ، والبناء لا الهدم ، والايجاب

(١). نفس المصدر ، ص ٣٩١ .

: لا السلب ، وكيف يسوغ لعاقل أن يقبول : أن هؤلاء المصلحين :
المجاهدين كان واجبا عليهم على كل حال أن يضعوا كل جهودهم في
هدم الابنية - التي فسدت بعض اجزائها ، أو أسىء استخدامها -
ويستهلكوا في تلك امكانياتهم وفرصة عمرهم ، ولا يدعوا حتى
يحولوها انقضا ، سواءا وجدوا فرصة اعادة بنائها و لم يجدوها ،
فان وقفوا من الحكومات الاسلامية المحكمة التي كان حكمها
والمسؤولون عنها يتلفظون بكلمة الاسلام ويعملون بكثير من فرائضه
وشعائره ، ويملكون وسائل وامكانيات لا يملكها غيرهم ، موقف
الاصلاح والنصح ، والتفهم والايضاح ، دون المعارضة الكليية ،
واستخدموا مبدأ « الامالة » دون « الازالة » لا يجوز لنا أن نرميهم
بالاهمال الكلى في القيام بهذه الشعبة من شئب « اقامة الدين »
وباقتراف « التعاون على الاثم والعدوان » .

وكذلك لا يجوز لنا ان نتهمهم بالتقصير في أداء هذا الواجب ،
لو ركزوا عنايتهم ، وما اوتوا من المراهب العلمية والخطابية
والكتابية ، وما يتمتعون به من المؤهلات الروحانية والقوة الايمانية،
على تحويل اتجاه المجتمع من الجاهلية الى الاسلام ، ومن
تلقى عبادة النفس والمادة الى عبادة الله وحده ، ومن حران
العصيان والاباء والطفيان ، الى الطاعة والانقياد ، حيث ان
المجتمع الاسلامى الفاضل الاصيل هو التربة المعبدة الصلبة التي

تتجمل أثقل عبء ، واضخم بناء ، وتقبل القيادة الصالحة ،
ويجانب ذلك ظلوا على اتصال دائم بمركز القيادة والادارة ، وبلاط
الحكومة ، وقدموا الى رجال الحكومة قوانين شرعية مدونة ، لكي
يأخذوا بها في النظام المالي والقضائي والاداري ، وسخروا الحكام
المعاصرين بقوة اخلاقهم وايمانهم وروحانيتهم واخلاصهم ونصحهم ،
فمنعوهم احيانا كثيرة عن الخطوات التي تلحق الضرر بالاسلام
والمسلمين ، وأخضعوهم بهذه القوة الغلابة لاجراء القوانين
الشرعية والحدود الالهية ، ووقفوا بهم في وجه القوى المحاربة
للالاسلام ، فكانوا سببا مباشرا في توسيع حدود الدولة الاسلامية ،
والجهاد في سبيل الله ، ووفروا للحكومة رجالا امناء أوفياء أكفء
ربوهم في احضانهم اعواما طويلا ، وربما كانوا واسطة في تحول
زمام الحكومة والقيادة من الملحدين الى المتدينين من المحاربين
للالاسلام الى المحافظين على الاسلام ، من المالحين للدين
الى الحامين للدين ، فلا يد ان نعترف لهم بالفضل ، ونعتبرهم
حاملي لواء السعى في سبيل اقامة الدين ، وجنود الاصلاح
والاحياء والتجديد الأوفياء ، ولا يحق لنا ان نسقطهم من
الحساب ، ونخرجهم من القائمة ، و نرميهم بالتقصير في المسؤولية،
بمجرد أنهم لم ينجحوا في تأسيس حكومة الهية مثالية .

والاستاذ المودودي نفسه يضغط بكل قوة على الأخذ بهذه

الحكمة ومراعاة الظروف والأوضاع ، واللياقة واللباقة حين
تتطلبها الظروف وتوجبها الملابس ، ويعبر عنه بـ « الحكمة
العملية » يقول :

« الحكمة العملية » هي التي تفرض على الداعي أن ينظر ما هي ،
الاسباب التي يجب أن تتخذ وسيلة الى التقدم الى الامام في الطريق ،
المؤدى الى الغاية ، وما هي الفرص التي يجب انتهازها ، وما هي
العوائق التي يجب ان تتركز العناية على ازالتها ، وما هي
المبادئ التي يجب ان تكون ذات مرونة ، وما هي المبادئ التي يجب
ان يبحث فيها عن جوانب المرونة التي تتطلبها المصالح الهامة « (١) .
ويقول في موضع آخر :

« والمراد منها (الحكمة العملية) بالايجاز : انه يجب ان
نراعى في تنفيذ الاحكام الشرعية واقامة الدين ، تلك الأوضاع
التي تواجهنا لدى العمل ، وأن نغير فيما يتصل بالفتاوى والأسلوب
العملي تغييرا تتحقق به المقاصد الشرعية في معنى الكلمة ، ولا
تضيع هدرا من أجل تطبيق الاحكام والمبادئ على الأوضاع التي
لا تقبلها « (٢) .

(١) « تفهيمات » (بالأردية) الجزء الثالث ، ص ٩١ - ٩٢
تحت عنوان « مراعاة المصلحة والضرورة في الاسلام . وأصولها
وقواعدها » توزيع المكتبة المركزية للجماعة الاسلامية دهلي - الهند
(٢) المصدر السابق ص ١٨٣ .

ويقول :

« كل من يريد أن يعمل على إقامة الدين فعلا ، سواء كان فردا ، أو جماعة أو دولة ، فطبعاً يحتاج — فى تحركاته — الى أن يراعى الأوضاع ، ويستخدم « التعقل العملى » ولا يمتنع فى هذه السبيل — اذا لحت عليه الضرورة — من أن يغير فى التدابير المسووح بها فحسب ، بل ربما يلجأ الى أن يستخدم لمثال تلك الرخص التى منحتها الشريعة والتى لم يتحرج الأنبياء والصحابة الكرام أيضا من أن يستفيدوا منها » (١) .

فاذا ما نزلنا عند هذا المبدأ ، ووثقنا باخلاص هؤلاء الرجال وتفقههم فى الدين ، وكونهم من أهل العزيمة ، ذلك الذى تشهد به حياتهم التى عاشوها ، فلا معدى لنا عن أن نسلم فى ضوء الشهادات التاريخية ، بأن الذين قاموا بنسنباط المسائل وتوجيهه الأمة من الأئمة المجتهدين ، والذين قاموا بتدوين الأحاديث وتحقيقها وتنقيحها من المحدثين العظام ، والذين منحوا هذه الأمة ثروة واسعة من القانون المنظم للخراج والجزية من رجال التشريع والتقنين ، والذين تفادوا بالمجتمع الإسلامى من المادية الرعناء والانجراف مع السيل الجارف من الغفلة ، ووفرة الثروة والمال ، والرخاء الاقتصادى ، والرفاهية الآتية من توسع

(١) المصدر السابق ١٨٩ .

الفتوحات ، والذين عصموه من عبادة النفس والهوى والسلطة والحكم ، والخضوع للقوة والتهاك على المال والثروة ، والتهافت على المنصب والجاه ، وبيع الضمير والعقيدة ، والتضحية بالمبادئ والأصول فى سبيله ، والذين قاموا « بصنع » الرجال وتكوين السيرة والأخلاق فى مجتمع منهار مشرف على الزوال ، والذين أصدوا رجالهم التى صنعوها فى جبهات خطيرة حاسمة من رجال الإصلاح والتربية ، والذين حولوا — فى صمت وهذوء — أما محاربة للإسلام أذاقت المسلمين هزيمة نكراء ، وأسرا ملوكية طاغية وأصحاب سلطان ونفوذ متجبرين ، لا مسلمين مستسلمين فحسب ، بل محافظين على الإسلام ، وخدمة بارين له من أهل الثلوب واليقين ، ورجال الحب والحنان ، والذين نفذوا فى قلوب الحكام المعاصرين بفضل سمو أخلاقهم وروحانيتهم ، وإخلاصهم وزهدهم وعفافهم ، فأخضعوهم للعدل والإنصاف ، ولتطبيق قوانين الإسلام وأحكام الشريعة ، ولإقتضاء على البدع والمنكرات من العلماء الربانيين ، الذين آثروا هذا العمل على العزلة والخلوة والانقطاع الى الانشغال بذات الله وحده ، وربما خاطروا فى ذلك بأنفسهم ، والذين هياؤوا الأذهان والقلوب من أجل أحداث الانقلاب الصالح وتأسيس الحكومة الإسلامية على أسس صحيحة ، وربوا لذلك رجالا تربوية فكرية وعملية ،

ووضعوا له اسما علمية ، من اكابر رجال العلم والفكر ، هؤلاء كلهم — مهما اختلفوا فى المسالك والمذاهب ومهما غلب عليهم لقب خاص — كانوا من ذلك الركب العظيم ، السائر على هذا الدرب الكريم ، درب اقامة الدين ، فقد قاموا بهذه المسئولية فى عهدهم حسبما سمحت به الظروف الراهنة ، واقتضته المتطلبات المعاصرة ، والأوضاع التى كانت تلابسهم ، ولكن أحوال بعضهم فى أضواء تاريخية ساطعة ، وأحوال بعضهم وجهودهم وجهادهم ، وأفكارهم وآرائهم ، لم تحوها كتب التاريخ التقليدية أو السياسية الادارية ، بل انها توجد فى مجاميع رسائلهم ودواوين حوارهم وأحاديثهم ، والكتب التى سجلت فيها كلماتهم ومواعظهم ، التى ربما لم تطبع بعد ، أن دراسة هذه المادة الفنية تدل على أنه لم يخل عصر من عصور التاريخ الاسلامى ممن قاموا بهذه المحاولة حسب الوسائل والامكانيات المتاحة ، وظل العلماء الاعلام يؤدون واجبهم ، ويرضون ربهم ، ويطمئنون ضمائرهم ، وقد وفق عدد منهم أن يبلغوا بهذا العمل الى شاطئ النجاح ونقطة الغاية ، التى لا تزال بعيدة عنها بمسافات شاسعة ، تلك الجماعات والمؤسسات التى تعمل لهذا الغرض وتحمل لافئته العمل الاسلامى او لا تحملها فى شبه القارة الهندية ، أو فى أرجاء الدول الاسلامية ، ولا يدري أحد هل يكتب لها الوصول الى هذه النقطة أم لا ؟

أما السيد أحمد الشهيد وأصحابه الصادقون الأوفياء فقد بذلوا
فى هذا الطريق كل ما كانوا يملكونه من جهد جهيد ، ومن قدرة
وقوة ، ولم يدخروا وسما فى تجربة أى وسيلة كانت مفيدة فى هذه
الغاية ، وقد صنعوا — فى نهاية المطاف — آخر ما كانوا
يستطيعونه ، فبذلوا مهجهم وأرواحهم فى سبيل الله .

وكان الشاعر الإسلامى الدكتور محمد اقبال فى أبياته الفارسية
الغاية ، وقد صنعوا — فى نهاية المطاف — آخر ما كانوا
والوفاء :

« انهم ربما يعتمدون على الحجج والدلائل والبيان المعجز
الأخاذ ، وربما يستخدمون السيوف والرماح فى سبيل الحق ،
وأحيانا يرتدون الدرع تحت « الخرقة » ، وبالجملة ان العشاق
لخاضعون للإشارة ، فيصنعون ما يفتتح عليهم ، وينكشف لهم ، فإذا
ما بلى هذا العالم وفقد غضاضته ، بيدونه كى يبرزوا من هذا الماء
والطين عالما آخر يقوم على الايمان واليقين ، انهم قوم كل امرهم
عجب فى عجب ، فقد يشترون الخسارة بالريح ، ويبيعون كل متاعهم
بنظرة واحدة » (١) .

(١) « زبورعجم » .

كلمة لا بد منها

هذه السطور التي تقدمت بها الى القراء الكرام فى الصفحات الماضية ، والتي هى كـ « دراسات مبدئية » فيما يتصل بالعرض الجديد للحقائق والمبادئ الاسلامية ، ربما يتضايق بها اولئك الذين لا يفرقون بين « الخلاف المبدئى » و « الخصومة الشخصية » ويرون فى ادى خلاف لوجهة نظر داعية أو عامل فى مجال من المجالات الاسلامية ، أو قائد لحركة أو دعوة (تنفيذ فائدة ما سياسية أو اجتماعية أو دينية) اضرارا بمصالح الاسلام ، وتشنتينا لشملة المسلمين ، وانى لا انكر انه ربما استخدم الخلاف فى الراى والمؤاخذه ، وأساليب الانكار والرد ، لتحقيق أغراض سياسية أو حزبية ، ولكن الحقيقة أن هذا الخلاف فى الراى والنظر ، والافصاح عنه لم يكن طريق السلف والخلف فحسب ، بل كان فى الوقت ذاته سببا كبيرا فى حفظ الدين من التحريف الجزئى ، وعصمة الأمة من الانحراف الكلى .»

أما الأئمة المجتهدون فهم فوق أن أضرب بهم مثلاً في أمثال هذه المناسبات ، لأنهم كانوا مجردين من كل شائبة من الانانية والاعجاب بالنفس ، والحقد والحسد ، وفتنة « المعاصرة » بل الذين يعتبرون دونهم في الزمان والمكانة ، والعلم والقبول والشهرة ، انهم كذلك لم يحتملوا هذا الخلاف في الرأي ووجهة النظر فحسب ، بل تلقوه بالترحاب والسرور وطلاقة الوجه ، وشكروا لناقديهم ومخالفينهم ، على مؤاخذتهم ، وقد قبله أتباعهم وأنصارهم أيضاً بغاية من سماحة النفس وانسراح الصدر، وتناولوه بالامعان والدراسة في جد واخلاص ، ولم يرموهم بالعداء الشخصي أو نيل الشهرة والجاه بهذا الطعن في شهير أو كبير ، أو الاضرار بمصالح الاسلام ، وهناك أمثلة رائعة من نقد العلماء للعلماء ، والعلماء للعظماء، يتشرف به المسلمون على مدار التاريخ، ويتجمل به تاريخ الفكر الاسلامي عبر القرون والأجيال ، ويبرهن به المؤرخ المنصف على شجاعة العلماء الأدبية ، وانهم ما زالوا يؤدون الشهادة لله ، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، ويؤثرون مصلحة الدين على كل مصلحة .

ان الاخلاص الصادق ، وعاطفة نشدان الحق ، وحب سيادة الدين عن كل شائبة من التحريف ، واعلاء كلمة الله في الأرض ، والايمان بأن كلا يؤخذ من قوله ويرد ، الا النبي المعصوم صلى الله

عليه وسلم ، كل ذلك سيجعل الانسان لا يتضايق بهذه الملاحظات.
والتنقيحات ، بل سيستقبلها بصدر رحب وقلب منشرح ، لما يراها
تعينه على فهم الاسلام ، وتفهمه وصيانيته ، مما سيدل على ان
الغرض هو اتباع الحق ورضا الله ، لا تضخيم الشخصية او تنميق
الكلام ، او تحبير الحديث .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١١	اهنداء
٣	المدخل الى الموضوع
	هل بقيت المصطلحات الأربعة القرآنية مجهولة مغمورة
	عبر قرون متطاولة ، وغابت عن الناس روح الاسلام
٢٩	الحقيقية ؟
	صلاحية الأمة للأخذ والتلقى والفهم ،
٣٣	ومزية القرآن فى الانابة والوضوح والافاده
٣٤	الصلة بين الكلمات والمعانى
٣٦	المزايا الأساسية للقرآن
	الأمة المسلمة لم تقع فريسة الجهالة المطبقة
٤٢	والضلالة الشاملة فى أى دور من أدوارها
٤٥	شهادة العقل السليم
	تحليل وتعليق بقلم العالم المصرى والمرشد العام
٤٧	«للاخوان المسلمون» الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى
٥١	التصوير القائم للعالم الاسلامى والتاريخ الاسلامى
	تبشير الأحاديث الصحيحة باستمرار ظهور القناتمين
	بالحق وبتواصل الجهود الرامية الى اعلاء الحق ورفع
٥٨	مناره عاليا
٦٠	اتصال محاولات الاصلاح والتجديد فى التاريخ الاسلامى
٦٢	الفعل النفسى لأسلوب التفكير السلبي
٦٣	الاقتصار على حاكمية « الاله » و « الرب »
٦٨	التصريحات المماثلة لدى سيد قطب
٧٣	تفنيد مغالاة والرد عليها

الموضوع

الصفحة

- هل الصلة بين العبد والرب هي صلة الحاكم والمحكوم
بحسب ؟ ٧٧
- مقتضى الأسماء والصفات والأفعال الالهية ٧٩
- تعريف « العبودية » و « الاله » لدى شيخ الاسلام
ابن تيمية ٨١
- الدعوة الى التوحيد واستئصال شأفة الشرك، كناههدف
بعثة الأنبياء وتعليمهم ودعوتهم الأساسى عبر التاريخ
البشرى ٨٤
- أسوة الأنبياء وطبعة النبوة ٨٧
- لاتزال « اللات » و « مناة » غضتين وفى طور شبابهما
موضوع جهاد الأنبياء وجهودهم على مدار التاريخ البشرى
مكانة العبادات بعد التسليم بأن حقيقة الربوبية والألوهية
هى السلطة والحكمية ٩٤
- اشادة القرآن بذكر الاكثار من اعمال العبادة ،
وترغيبه فى ذلك ٩٩
- الاعتقاد بمجرد حاكمية الاله
وسلطة الرب ، وتأثيره النفسى ١٠١
- هل العبادات والأركان الأربعة
الاسلامية ، هى مجرد وسائل ؟ ١٠٣
- بيان القرآن الصريح وترتيبه الصحيح ١٠٤
- شهادة أسوة الرسول والذوق النبوى ١٠٥
- التأثير النفسى لاعتبار العبادات والأركان وسائل ١٠٧
- أسطورة البطالة والاستسلام ١١١

١١٣	غيض من فيض
	أفلم تكن جهود الشبيدين وجهادهما
١١٦	في سبيل « أقامة الدين » ؟
	على رأس كل حركة للجهاد
١٢٠	والتضحية شخصية روحية قوية
١٢٣	الأمير عبد القادر الجزائري
	شيوخ الطريقة النقشبندية في
١٢٤	ساحة الجهاد والاصلاح
١٢٦	السنوسية ، وجهادها الأكبر في افريقيا
	السيد مهدي السنوسي وعنايته الفائقة بالفتوة
١٢٧	والفروسية
	الشيخ حسن البنساء ونصيب التربية الروحية
١٣٠	في تكوينه ، وفي تكوين حركته الكبرى
	علماء الهند وثيوخها في ساحة الحرب
١٣١	وميدان الاصلاح والكفاح
١٣٤	التاريخ يحكم حكما حاسما
١٣٤	واجب « اقامة الدين » في ضوء الشريعة والتاريخ
	محاولات اقامة الدين مقرونة دائما
١٤٧	بمراعاة الحكمة وفقه الدين :
١٥٥	كلمة لا بد منها
١٥٨	الفهرس

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨٠/٣٢٠٦

الترقيم الدولى ١٧٧ —

مطبعة المنصورة — ٣٠ شارع العطار — شبرا مصر — القاهرة

ابو الحسن الندوي

التفسير السياسي للإسلام

في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي
والشعيد سيد قطب

دار
آفاق الفد